الجبهة الإسلامية للمقاومة العراقية
" جامع "

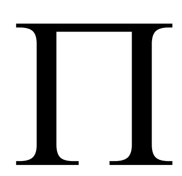
تقتبس رسالة

الطريق المسدود

وهي دراسة مستخلصة من كتاب
" حتى لا يغادرنا التاريخ "
للفريق الركن رعد الحمداني
قائد الفيلق الثاني للحرس الجمهوري
استعرض فيه وجوه الخلل التي لازمت
طبيعة التفكير الاستراتيجي للقيادة العراقية

قام بها





★

الغلاف من فن الراشد

★

الطبعة الأولى
شعبان 1429هـ
آب (أغسطس) 2008م

★

الموقع الجديد للراشد على الإنترنيت
www.alrashid-online.com

راجعه ، فإنك تجد فيه النص الكامل لكتاب
" بوارق العراق "
وهو أضخم دراسة عن القضية العراقية من منظور إسلامي
في 544 صفحة

★

□ هذا الكتاب استعراض لطبيعة القيادة العسكرية في الجيش العراقي خلال حكم حزب البعث ، والدروس التعبوية والإستراتيجية المستفادة من تحليل أحداث أربعة حروب خاضها هذا الجيش في ذلك العهد ، وهي : المشاركة في الدفاع عن الجبهة السورية في حرب 1973 ، والحرب العراقية الإيرانية ، والدفاع عن جبهة الكويت بعد احتلالها ، والدفاع الأخير عندما غزت اميركا العراق واحتلته عام 2003م ، مع بعض خبر الحصار الطويل ، كل ذلك حسب رواية قائد كبير في الجيش العراقي هو الفريق الركن رعد مجيد الحمداني قائد الفيلق الثاني في الحرس الجمهوري ، عبر مذكراته التي سماها : " قبل أن يغادرنا التاريخ " في طبعتها الأولى سنة 2007 الصادرة عن الدار العربية للعلوم-ناشرون ، ببيروت ، والتي سنشير فقط إلى رقم صفحة أي نص استللناه منها ، بين قوسين إذا كان حرفياً ، وبدون قوسين إذا كان محذوفاً منه بعضه بدواعي الاختصار أو مما يقتضيه السياق الموضوعي ، والذي فعلناه من الحذف وإعادة ترتيب المعاني منحها قيمة أكبر مما كانت عليه في أصل الكتاب .

● وعلى ذلك فهذه الصفحات ما هي بسرد تاريخي ، وإن اعتمدت الرواية التاريخية وأقوال شاهد عدل على أحداث العصر ومن أهلها ، وإنما هي دراسة تحليلية ، الغرض منها : تدريب دعاة الدعوة الإسلامية على فهم معنى الإستراتيجية ، وفقه التخطيط ، وكيفية القيادة والتعامل مع المعضلات ، عن طريق القياس على الأحداث الحربية ، فإن الجذر واحد ، وبين السياسة والحرب تشابه وعلاقات متبادلة ، والدعاة هم أمهر الناس في القياس ، لأنهم يمارسونه في القضية الفقهية الشرعية العامة ، وطريقتهم يغلب عليها الاجتهاد والاستنباط ، وممارستهم هذه تجعلهم أقدر على فهم الحياة ومحركاتها واستيعابها ككل من خلال أية زاوية نظروا منها إليها أو إدراك أي وجه من وجوهها المتعددة .

والدروس المستنبطة ستتعدى مجال التخطيط إلى فهم قضايا إدارية أيضاً ، وملاحظات نفسية ومعنوية أحياناً ، مع استعراض نماذج من علم توثيق الرجال وفهم اختلاف الطبائع والأخلاق والتصرفات ، وكل ذلك من تمام الوعي الذي يلزم الدعاة إدراكه .

وهناك تفاصيل مهمة أثناء السرد أهملناها بسبب الحرص على تجريد

القضايا الإستراتيجية والتخطيطية ، وليس بدافع آخر .

● وكل كتب تاريخ الحروب تصلح مورداً لاستلال التجربة منها ، ولكن اختيار هذا الكتاب من دونها لأنه يمثل تجربة من بيئتنا مرتبطة بالسياسة والفكر ، ولأنها آخر التجارب وأحدثها وما زلنا نعيش آثارها العميقة فينا ، وقصتها مستمرة ، وعند كل أحد تراكمات من أخبارها تعينه على فهم هذا التحليل .

● بل أغلب الأمة الإسلامية اليوم تسيطر عليها العواطف ويقل فيها النظر العقلاني الذي يعتمد الاتعاظ بالتجارب ، ولذلك ما زلنا نرى من يحسن الظن بصدام حسين ومجازفاته ولا يدري ما كان وراء الظاهر من أخطاء جسيمة وطرائق متخلفة وأسلوب انفرادي يعتمد تقديم النكرات الأغبياء والمتزلفين ، ويقصي ويهمل أو يظلم أصحاب الأصالة والذكاء والمثقفين ، لمجرد ممارستهم النقد وقولهم الصريح عندما تدعو الحاجة أيام المنعطفات وفي المواقف الفاصلة ، وفي العالم الإسلامي نماذج مثيلة للخطأ العراقي ما زالت حية وتحكم وتمارس ، فلعل العقلاء هناك يتعظون ، بل ما زلنا نخاف من ظهور صور جديدة سلبية ، بل حتى المحيط الدعوي الإسلامي يمكن أن تصيبه جرثومة الإستبداد لأن الدعاة بشر ، وفي ساعات الغفلة تكون الإجتهادات الخاطئة في الانتخاب والتولية ، فيرأس المركزي القليل العلم والمعرفة ، فتكون المتاهة ، ولعل رواية تجربة الجيش العراقي فيها إنذار وموعظة تؤدي إلى تقديم الأتقياء والأذكياء وأصحاب الرأي الحر والنمط التخطيطي والشوري الذي يحترم مذاهب أهل التخصص ، وفي انتخابات تنظيمية دعوية استغربت فوز عاطفي مرتجل ورجحان عدد الأصوات التي نالها على ما نال المعرفي التخطيطي الذي ينافسه ، فقيل لي في تفسير ذلك أن المعرفي ينشغل بتربية الخاصة من الدعاة ويطيل اللبث معهم يحاورهم ويدربهم ، والعاطفي يجوب المحافظات ويخطب ويثير الحماسة ، فجمع من أهل الحماسةمن ترجّح أمره بهم ، واقتصر المعرفي على تلامذته ولم ينتخبه غير أهل العمق الذين يبصرون المستقبل ، وهم قليل في كل مجتمع ، وهذا درس متكرر راقبت حدوثه في أماكن كثيرة ولأجيال متعاقبة .

● ولربما تخطر وسوسة في قلوب البعض تتهم هذا الشاهد الفريق رعد الحمداني بأنه من خلال تحميل صدام حسين وطريقته الخطأ يحاول تقرير

براءة نفسه والتنصل من مسؤولية الهزيمة ، وليس كذلك الأمر ، والله أعلم ، والرجال الذين كانوا حول صدام يتفاوتون في حمل وزر تلك الأخطاء بدرجات مختلفة ، والفريق رعد أقلهم ، ومجمل ما نعلم من الأخبار التي تجمعت عندنا في زمن صدام وبعده ورواها لنا الثقات تؤيد إفادته وترجّح صدقه ، والقرائن تشير إلى دقة أقواله وتحليلاته ، وذلك ما أذهب الوسوسة عني وجعلني أعتمد شهادته .

❑ السلبيات الدائمة ووجوه الخطأ في القيادة العراقية

□ في كلام نقدي جامع حول الموقف تجاه الاستعداد الأميركي البريطاني لغزو العراق واحتلاله؛ يوجز الفريق الركن رعد أهم نقاط الضعف في التخطيط الاستراتيجي العراقي بما يلي :

(o عدم إحكام النهايات السائبة في جوهر التخطيط العام للحرب الدفاعية ، وإبقاء العديد من النقاط الجدلية التي تثير التكهن والتقدير غير السليم سائبة لشدة التدخل المباشر للقيادة السياسية في الموضوعات الاستراتيجية العسكرية ، ولكثرة انشغال القائد العام ، أي الرئيس في موضوع إدارة الأزمة السياسية إلى وقت قريب جداً من اندلاع الحرب .

o عزل القيادة العسكرية العليا الممثلة في وزارة الدفاع ورئاسة أركان الجيش عن دورها في إدارة الحرب مع المقرات الميدانية (الفيالق والفرق) وذلك نظراً لتعيين قيادات سياسية للمناطق الأربع الرئيسة التي قسم العراق بموجبها لأغراض القيادة والسيطرة .

o فرض آلية العمل السياسي على آلية العمل العسكري في مرحلتي التخطيط وإدارة الحرب مع الإبقاء على هامش كبير في المسؤوليات غير المحددة أدّى إلى تداخل وضياع المسؤولية المباشرة في المواقف الحرجة فيما بعد .

o الخليط غير المتجانس من القوات المتوفرة للدفاع في القواطع الدفاعية المختلفة ، وضعف التفاهم والتنسيق فيما بينها ، مع ضياع القدرة على تحديد المسؤوليات الميدانية ، حيث حرص القائد العام ، (أي الرئيس) على الفصل ما بين قيادات هذه القوات المختلفة من ناحية التخطيط وإدارة المعارك إلى حين نشوب الحرب لأسباب غير مبرّرة .

o تحكم المؤسسة الأمنية الرئيسية ، وتسويغ أية رغبات من وجهة نظر خاصة بها كتأثير حقّ النقض (الفيتو) على أي قرار ، مما أوجد ثغرات خطيرة في التخطيط والممارسات على الخطط الدفاعية كخطة الدفاع عن المطار الدولي في بغداد وبعض المواقع الاستراتيجية الخاصة .

o تقادم الزمن على جميع الأسلحة الرئيسية ، والمعدات الحربية ، وانتهاء معظم أعمارها واستهلاكها في الحروب السابقة كالحرب مع إيران التي دامت ثماني سنوات متواصلة .

o تفاقم البيروقراطية العسكرية العراقية إلى درجة التورم ، مع تقليص مستمر وحاد في الصلاحيات لأغراض أمنية ، وذلك لتحجيم الشخصيات

القيادية وإضعاف أثرها المعنوي على المرؤوسين .

o تفشي الفساد الإداري كالرشوة وخاصة في السنوات الأخيرة قبل الحرب لتدني مستويات المعيشة للضباط والمتطوعين ، وظهور أشباه المافيا .) ص282 . وبخاصة في التصنيع العسكريي كل ذلك مع التدني في مستويات التدريب ، لقلة الأموال ، ثم (التنافس غير الشريف لبعض المستويات القيادية للتقرب من رأس القيادة على حساب حقائق الأمور ، وتعميق أوهام القوة في فكر الرئيس) ص283 .

□ وكان من نتيجة اعتقاد الفريق رعد بوجود هذه السلبيات أنه قدّم إلى قصي صدام حسين ، المشرف على الحرس الجمهوري ، جملة نصائح وخلاصة نظرته في الاستدراك والتخطيط السليم ، ورأيه توجزه الملاحظات الآتية :

(o نبذ المفاهيم القديمة في اعتماد نظام الكتلة في إدارة المعارك ، واعتماد مفهوم الاستخدام الجزئي للقوة بشكل متتابع ، وذلك لتجنّب تدمير قواتنا بعد كشفها بالقوة الجوية المعادية .

o هذا المفهوم هو مشابه لعقيدة وأساليب عمل حرب العصابات ، ولكن ينفّذ بقوات نظامية .

o ينبغي التعويل في المعارك المستقبلية مع القوات الأمريكية ومن سيحالفها على القوات الخاصة والمشاة أكثر من التعويل على القطعات المدرعة .

o الحاجة إلى تخويل الصلاحيات إلى أقصى الدرجات لأن القيادة والسيطرة ستكونان صعبتين للغاية لضرورات الانفتاح الواسع ، ولتجنّب الضربات الجوية والصاروخية .

o نبذ مفهوم إدارة المعارك على قوات العمق والاحتياطات لاستحالة أو تعذّر حركتها لمسافات كبيرة بينما يملك العدو سيادة جوية على ساحة الحرب .

o إدارة المعارك على مستوى الوحدات الصغيرة (سرايا وأفواج) ، وبإشراف عام للمستويات الأعلى من خلال الوصايا ، والاستخدام الجزئي والمتدرج للقطعات (حضيرة ، فصيل ، وسرية كأكبر حجم قتالي) وكذلك ستكون أكبر وحدة مساندة مدفعية تستخدم في القتال فصيل مدفعية ، أما في أسلحة الدفاع الجوي فيعتمد على الكمائن فقط .

o نظراً لحرماننا من الوسائط الاستراتيجية والتقنية ومنها الاستطلاع الجوي بأنواعه لجمع المعلومات ، يجب التركيز على الجهد الميداني لأغراض الاستطلاع والاستخبارات .

o يؤسس كل لواء في قاطع مسؤوليته منطقة لجمع المعلومات-ومنطقة للتعويق المبكر ، وقبول العزل- ومنطقة الدفاع الرئيسية على شكل قواعد أمينة) 284 .

● وسياق الأحداث يدل على أن كل هذه المقترحات المنطقية لم يؤخذ بها ، وبقيت عقلية إدارة الحرب مع إيران هي التي تدير وبنفس الموازين الحرب مع أميركا ، وأذكر أنني كنت أيام الحرب حين أشاهد أخبار المعارك أدندن مع نفسي وأقول وأنا غير عسكري : لماذا لا يستعمل الجيش العراقي أسلوب حرب العصابات وإنهاك العدو بضربات صغيرة لكنها كثيرة ، مما يدل على أن هذا هو الأسلوب المتبادر إلى الذهن في أمثال هذه الأحوال التي يكون فيها فارق التسليح والتدريب كبيراً ، ولكن نعجب لوجود عقليات ليس لها مقارنات وتحليلات تكتشف الفروق !

❑ أين تكمن محنة الاستراتيجية العليا العراقية في حرب العام 2003 ؟

□ وعاد إلى التحليل فقال :
(يمكن إجمال محنة الاستراتيجية العليا العراقية في العام 2003 بما يلي :

- إن الاستراتيجية العليا العراقية كانت في وضع نفسي وأخلاقي ومادي غير قادر على تجنّب الحرب بالرغم من عدم وجود مسوغ قانوني للولايات المتحدة بشنّها ، فرأت أنه من الأنسب الذهاب للحرب بشجاعة إذا كان هذا قدرها .
- حرية محدودة جداً في العمل السياسي ، نتيجة الضغوط السياسية الهائلة التي مارستها الولايات المتحدة وبريطانيا في المحيطين الإقليمي والدولي .
- القوة الخادعة للكتلة الاوروبية (فرنسا ، ألمانيا) وروسيا في مجلس الأمن الدولي للحيلولة دون نشوب الحرب ، والتعويل على الطرق السلمية (دور المفتشين الدوليين) لحل الأزمة ، مما دفع القيادة العراقية للاعتقاد بأن الحرب قد لا تقع أو أنها ستتأخر كثيراً .
- رفض الرأي العام الدولي لنظرية الحرب ، وخاصة في الدول الداعية للحرب ، فأكبر المسيرات الشعبية الرافضة للحرب والتي قاربت مليون إنسان من المحتجين جرت في لندن ، وواشنطن ، ومدريد وغيرها في مدن العالم الكثيرة ، مما زاد من اطمئنان القيادة العراقية ، وزاد من ثبات موقفها .
- الموازنة الصعبة للقرار السياسي العراقي عندما أفصحت الولايات المتحدة وبريطانيا عن الهدف الاستراتيجي الخطير من الحرب المتوقعة ، ألا وهو اسقاط النظام) ، وعليه كان قبول المخاطرة والاعتماد على الحظ .
- التدني الحاد في ولاء الشعب لصدام ، مما يعني هبوط احتمالية القتال الجدي للقوات المسلحة .
- انشغال صدام بتطور الموقف السياسي شل القيادة في موضوع مراجعة الخطط وبقيت خطة الدفاع عن بغداد غير محسومة . 308-309 .

❑ عناصر مأزق الاستراتيجية العسكرية العراقية

□ إن حال الاستراتيجية العليا السيئ انعكس على الاستراتيجية العسكرية ، وجعلها عاجزة ، وأيقن الجميع أنها ستكون الحرب الأخيرة ،

ويمكن توضيح أهم عناصر المأزق بما يلي :

- حجم هدف العدو المتمثل بالاحتلال واسقاط النظام .
- عدم التوازن في ميزان القوى لانهيار القوة الجوية والدفاع الجوي والمعدات القتالية بصورة عامة .
- (الاختيار الصعب ما بين التنازل المؤقت عن الأرض ، ومتطلبات أيقاف أو إبطاء تقدّم العدو في المسالك المحتملة للتقرّب ، والذي يمتلك قابلية عالية على حرية العمل وتغيير الاتجاهات مع الافتقار إلى حرية الحركة لقواتنا إلا في حدود ضيقة جداً ، أي أن المناورة بالقوات ستكون شبه متعذرة على المستويات الاستراتيجية والعملياتية لتوفّر النسبة العالية لاحتمالية تدميرها بالقوات الجوية المعادية .
- الافتقار إلى أسلحة الردع الاستراتيجية وحتى العملياتية ، وذلك بعدما أجبرت القيادة العراقية كاستجابة للكتلة الاوروبية المناهضة للحرب في مجلس الأمن على الموافقة على تدمير صواريخ أرض أرض محدودة المدى (150 كم) نوع صمود2 .
- الانخفاض الحاد في المعنويات العامة لدى المقاتلين العراقيين نتيجة للحرب الإعلامية الشرسة للإعلام المعادي ، علاوة على نشاط الطابور الخامس ، وخاصة الموالين لإيران في المناطق الجنوبية والفرات الأوسط من العراق دون القدرة على التصريح بذلك لأسباب سياسية .
- إن إعلان القيادة السياسية المباشر بقبول المعركة الحاسمة في العاصمة بغداد ، جعلها تتحمّل الثقل الأكبر من القصف الاستراتيجي المعادي ، وسمح للعدو بالتخطي العملياتي للكثير من الأهداف لصالح حشد القوة الملائمة نحو بغداد ، بالوقت الذي كانت خطة الدفاع عن بغداد يشوبها الكثير من الغموض من حيث جوهر العمل ومسؤولية القيادة والسيطرة المتداخلة أساساً .
- الحسابات الخاطئة بالمقارنة مع حرب العام 1991 لتقدير حجم القوات الكافية للهجوم على العراق ، بالإضافة إلى وضع الفرقة المدرعة الرابعة الأميركية المتأرجح ما بين ساحتي العمليات التركية والكويتية عند نشوب الحرب ، فكانت القيادة العسكرية العراقية تتوقع تأخير التعرض المعادي لحين حشد قوات لا تقل عن 400 ألف مقاتل .
- الإبقاء على الكثير من القوات العراقية خارج أهداف الأرتال المعادية التي غزت العراق من الجنوب ، وهدر كبير للوقت في الاستفادة من تلك القوات المجمدة خارج منطقة التأثير نظراً لتمسك القيادة بتقسيم العراق إلى أربع مناطق دون وضع آلية مناسبة لحساب المناورة بالقوات قبل التعرض

المعادي ، الأمر الذي نتج عنه فيما بعد تكبّد تلك القوات خسائر جسيمة خلال تنقلها تحت رحمة القصف الجوي المعادي .) 309-310 .

❑ طبيعة القيادة التي أبداها كبار الجنرالات

□ (كانت أهم صفات القيادة العسكرية العراقية شدّة خضوعها لإثبات الولاء السياسي لرئيس الدولة ، وهو القائد العام للقوات المسلحة . وهي معذورة في ذلك ، لأنه انعكاس وتطبيق عملي للنهج المعروف للرئيس في التعامل مع القيادات السياسية والعسكرية وغيرها ، وبمرور الوقت انسحب هذا الخضوع إلى طبيعة التفكير ، وأسلوب عرض الآراء بتحفظ شديد مع مراقبة دقيقة لملامح وجه الرئيس عندما يكون الطرح مباشراً ، أو من خلال الاستقراء الدقيق لما يميل إليه أو يحجم عنه ، إذا كان ذلك الطرح بشكل غير مباشر (دراسات موجزة تحريرية) ، ومن خلال التوجيهات الصارمة لإيجاد الحلول الميسورة التحقيق . كل ذلك جعل من آلية صنع القرار الاستراتيجي آلية محدودة النطاق ، وبمساحة نقاشية ضيقة جداً ، ولا يتعدى ذلك المسلك الذي أوصت القيادة السياسية به (الاستراتيجية العليا) مسبقاً .

كان وزير الدفاع الفريق أول (جنرال) سلطان هاشم أحمد من قادة الجيش المتمرسين جداً ، وهو معروف بدماثة خلقه ، وطيبته ، وخبرته الميدانية الممتازة ، إلا أنه كان يعرف حدوده جيداً (لا يتجاوز حدوده في الاعتراض المباشر على التوجيهات السياسية في الشؤون الاستراتيجية للمحافظة على مساحة الأمان الشخصية) ولا ينقصه شيء سوى الرؤى الاستراتيجية المعمقة وقلة نشاطاته الأكاديمية . أما رئيس أركان الجيش الفريق أول جنرال إبراهيم عبد الستار التكريتي ، فله خبرة ميدانية ممتازة جداً ، ويمتلك ديناميكية وظيفية عالية ، إلا أنه يفتخر بمركزيته المطلقة ، وبعدم احترامه للمستويات الأدنى ، ويعتقد أن الكفاءة في المناصب العليا هي الغرق في التفاصيل الصغيرة ، إلا أنه يفتقر إلى الثقافة والرؤية الاستراتيجية ، وهو في حذر دائم من مكائد رئيس أركان الحرس الجمهوري الفريق أول (جنرال) سيف الراوي الذي يتّصف بالذكاء الحاد في منافساته ضد الرجلين أعلاه . وكان هذا الأخير لبقاً جداً مما قرّبه من الرئيس كثيراً ، أما خبرته الميدانية فجيدة ، وكذلك تحليلاته النفسية لمن يحيط به ، وهو متابع دقيق وقارئ جيد لأفكار الرئيس ونجله قصي ، إلا أنه

لا يؤمن بأفكار وبطروحات الآخرين من معيته ، وهيئات ركنه ، والقادة المرتبطين به ، ودائماً ما يحاول الاستخفاف بهم حارماً نفسه من المشورة الكافية (قيادة استبدادية) .) 303-304 .

● والحقيقة أن هذا النمط من ضعف التقدير الاستراتيجي هو صفة كل القيادات في البلاد العربية ، وفي سنة 1973 (كانت هناك شعارات واستعدادات لحرب تحرير كبرى حسب ما يعلن ، وفي الشهرين السابقين للحرب كان هناك شيء من استعراض القوة ، إلاّ أن سقوط سرب طائرات سورية من نوع ميغ بالكامل في معركة جوية فوق طبريا دون اسقاط إلا طائرة اسرائيلية واحدة كان مؤشراً غير سار لنا كعرب) 21 .

● وأما نجاح الجيش المصري في عبور قناة السويس والتقدم في سيناء فإنما أراده السادات لتحريك عملية الصلح مع اسرائيل ولأن الجندي الاسرائيلي لا يقاتل يوم السبت ويجعل ذلك حراماً ، ويقابله أن مصر (كادت أن تفقد نصرها بالكامل نتيجة اندفاع قوات مدرعة اسرائيلية تقدّر بسبعة ألوية مدرعة بقيادة الجنرال المغامر أرييل شارون عبر ثغرة الدفرسوار الشهيرة نحو الضفة الغربية لقناة السويس حتى وصلت إلى الكيلو متر 101 عن القاهرة .) 32 .

● وظهرت الطبيعة السلبية للقيادة العراقية في صور عديدة ، فمنها : أن الجنرال رعد لاحظ (عدم توظيف خبرة الحرب مع إيران) في حرب الدفاع عن الكويت ، وأنها نقطة الضعف العامة للجهات المعنية ، ولم تكن تتناسب مع نطاق وعمق التجربة العسكرية . 184 .

ويروي الفريق رعد أن صدّام يوم 91/1/15 سأل الفريق إياد فتيح الراوي قائد الحرس الجمهوري عن نسبة توقعه للهجوم الأميركي والدول الأخرى لتحرير الكويت وبعدما انتهى الإنذار ، فقال : (يقع باحتمالية لا تزيد عن واحد بالألف) .

قال رعد : (ولا يختلف اثنان حول شجاعة وكفاءة ونزاهة وعدالة هذا القائد ، إلاّ أنه كمعظم القادة العراقيين كان يفتقر إلى الثقافة الاستراتيجية ويسلّم بالرأي السياسي بشكل مطلق .) وإن ذلك (ناتج عن الملاحظات الخاطئة التي استمع إليها هذا القائد من بعض القيادات السياسية كحسين كامل وعلي حسن المجيد الذي كررا كثيراً عبارة : إن الحرب لن تقوم .) 273 .

● (ومن الملاحظ أن الترقيات السريعة جرت لصالح عدد من العناصر القيادية وعدد كبير من الضباط لأغراض التشجيع ، ومثل هذه الترقيات تحصل في كل الحروب ، إلا أن نتائجها غالباً ما تكون سلبية فيما بعد لأن

هذه الترقيات لا تحصل على أسس تقييمية دقيقة وعلى حساب النضج الذي تتطلبه المناصب القيادية .) 77 .

● وكنموذج لطبيعة التفكير القيادي ومدى دقة التقدير يعود الفريق رعد بذاكرته إلى يوم نشوب الحرب مع إيران ، فيروي تبسيطه للأمور وكيف أنه كان يظن أنها مجرد حرب سريعة الإنتهاء ويقول : (كنا نبحث عن المزيد من ردود الحدث ، ونتكهن بالنتائج حيث أبدى صاحبي المقدم الركن عبد الجليل أحمد رأياً أدهشني به جداً حين توقع أن تمتد هذه الحرب فترة طويلة قد تصل إلى خمس سنوات ، فجادلته بما أملكه من تصور بالاستناد إلى ما قاله قائد فرقتنا يوم 1980/7/7 بأن المصالح الاقتصادية للدول الكبرى ستحول دون اطالة مدة الحرب لأن كلا البلدين المتحاربين من الدول النفطية الكبرى ، وانتهيت باتهامه بضعف الرؤيا الاستراتيجية ، وعدم تقديره للأهمية الجيو استراتيجية لمنطقة الصراع ؟) 63 .

● وأكثر قادة الوحدات العسكرية كانوا وفي مناسبات عديدة يظنون أن جاهزية وحداتهم للقتال عالية ، مع أنها متدنية ، لمجرد إرضاء الجهات العليا إذا علموا توجهها لحرب من الحروب ، وقُبيل بدء الحرب مع إيران حصل ذلك لوحدته ، ويقول : (عقدنا اجتماعاً سريعاً ، أوحى فيه آمر اللواء بشكل صريح أن لواءنا جاهز للقتال بنسبة عالية 95% ، ثم بدأ باستطلاع آراء آمري الوحدات الذين أحرجوا حيث لم يختلفوا على النسبة العالية التي صرّح بها ، وطلب من مقدم اللواء المقدم الركن فيصل مشعان الفيصل تحرير التقرير التقييمي ، وهنا اعترضت بشكل صريح على ذلك ، وأشرت إلى أن ذلك يخالف الحقيقة وأن لواءنا ، ولأسباب حقيقية ومعروفة لدى الجميع لا يتمتع بهذه النسبة من الجاهزية كونه لواء حديث التكوين ، ولم تتح له فرصة كافية للإعداد الحقيقي من الناحيتين الفنية والقتالية ، وينقصه الإنسجام العام .)59 .

❑ المركزية في شخصية صدام

□ صدام نتاج البيئة المتخلفة .

(إن طبيعة الأمور في عالمنا الشرقي ، والعالم الثالث المنتقل من البداوة إلى الحضارة حيث المستوى العلمي والثقافي المتدني لشعوبنا ، والتمسك بالمقدس بالموروثات من غير تمحيص ، والضعف العام في وسائل الاتصال بالمجتمعات المتحضرة ، جعلت مجتمعاتنا بيئة صالحة لنشوء الزعامات

الدكتاتورية ، ونظمها السياسية المستبدة ، ولا يقتصر هذا على الزعامات السياسية ... بل إن لمعظم الطوائف الدينية والمذهبية زعامات دكتاتورية ؟ كذلك تعتبر الزعامات القبلية والعشائرية زعامات قد تكون عند البعض زعامة دكتاتورية ؟) 295 .

● ومع أن النتائج في قضية الكويت كانت كارثية إلاّ أن القائد رآها نصراً ، والدليل أنه هو وأركان جيشه ما زالوا في السلطة وقد (علّق الرئيس صدام حسين على بحث مشترك لعدد من القادة وكنت أحدهم " أنا مستغرب جداً من هؤلاء القادة الأكفاء الذي يبحثون في نتائج العدوان الثلاثيني عام 1991 في حين يردّدون ما يطرحه الإعلام المعادي من إحصائيات غير حقيقية ، فلو كانت تلك الأرقام صحيحة أو كان لها قيمة في حسابات الصراع لما كنا جميعاً هنا في هذه القاعة الكبيرة ... أنتم المنتصرون فركّزوا على الجوانب المشرقة من أعمالكم . وهذا توجيه إلى وزير الدفاع ولكل دوائر الوزارة والوزارات المعنية ... " .

لقد فعل هذا التوجيه فعله السلبي في طمس الحقائق الموضوعية التي تبنى عليها تقارير الموقف السياسي والعسكري ، فعدّلت الدوائر المعنية وخاصة العسكرية منها إحصائياتها ، وبناءً عليه ، سحبت القوة الجوية العراقية في اليوم التالي تقرير قدرتها القتالية الذي كان يشير بالأرقام بأن تلك القدرة ستكون صفراً في نهاية شتاء العام القادم ، واستبدل ذلك التقرير الذي قدّمه فريق بحث للقوة الجوية بتقرير يشير إلى أرقام وهمية غير موضوعية على الرغم من أن سلاح الطيران هو أكثر الأسلحة أهمية) . 263

ورغم ذلك فإن طموح صدام وشخصيته الصلبة تجعله أحياناً أبرع من القادة العسكريين في فهم الموقف ، وكما يمارس الفقيه القياس العام استناداً إلى المنطق الشرعي العام وروح الشريعة ، مما ذكره ابن تيمية : فإن صدام كان يمارس القياس العسكري العام ، ويذكر الفريق رعد أنه في أكثر من حالة كادت (الأساليب المعادية أن تحقّق شلّ تفكيرنا القيادي ، لولا المرونة القيادية للرئيس صدام حسين الذي حضر إلى ساحة العمليات أكثر من مرة ، ولولا تجاوزه القيود الأكاديمية في حلّ المعضلات الميدانية ، وبسبب الصلاحية المطلقة التي امتلكها بالاعتماد على المنطق العام للحرب والسياسة وبمشورة نائبه وزير الدفاع الذي كان يتمتّع بشخصية قيادية رصينة وهادئة والذي كان يحضر دائماً جانباً من المعارك .)133 .

وهذا من دقائق الفن القيادي الذي يجب أن يلحظه الدعاة ، فالعلوم القيادية

المدونة عوامل مساعدة لإنضاج الفكر القيادي ، وأساس النجاح هو الأصالة ثم الروح الاجتهادية الاستنباطية المستقلة التي يملكها القائد .

❑ نقص المنظومة القيادية

□ منها افتقاد مراكز الدراسات الاستراتيجية . (إن الرئيس ، القائد العام : كان في كثير من الأحيان يترك الأمور غير محسومة ، لاخذه الموضوعات العسكرية غالباً من منظور سياسي ، لأنه غير ملمّ بالأمور الاستراتيجية العسكرية ، أضف إلى ذلك عدم اعتماده على مراكز بحوث لإشراكها في عملية صنع القرار بشكل أو بآخر للإستفادة منها حول إيجاد البدائل وتوسيع الخيارات المتاحة .) 304 .

● ومنها قلة الاجتماعات القيادية لتدارس الموقف ، وعدم وجود دوائر معلومات ، (والغريب أنه لم تعقد اجتماعات خطط ، ولا اجتماعات تدقيق بالمواقف السياسية والعسكرية وتحليلها ، وكأن الحرب لن تقع قريباً . أين دوائر المعلومات التي تزودنا بما نحتاج إليه من معلومات وبيانات عن تطور الموقف في البلد ؟ باستثناء تعميمات لبعض معلومات الاستخبارات العامة بيد ضباط الارتباط ، ومعظمها سطحية .)296 .

● ومنها هيمنة القرار السياسي دون احترام الرأي العسكري ، وعزل أصحاب العلم الاستراتيجي وإهمالهم .

(إن ظواهر الولاء السياسي للشعب العراقي لقيادة الرئيس صدام حسين ، كانت جوهر الاستراتيجية العراقية العليا ، مما يؤسّس قدرة على الدفاع تتعدّى القدرة المعروفة للقوات المسلحة العراقية . ولأسباب يصعب تحديدها بدقة ، جعلت سياق التخطيط لمواجهة غزو تقوم به أكبر قوة عسكرية في العالم ناهيك عن من يساندها ليس بالمستوى المطلوب ، بل إن تلك الأسباب خلقت نوعاً من التشويش والضبابية والارتباك لا يتناسب وعمق تلك الخبرة العسكرية العراقية . وبالرغم من أن المستويات العليا في وزارة الدفاع ، ورئاسة أركان الجيش ، والمقر العام للحرس الجمهوري تتحمّل مسئولية ذلك عملياً وأخلاقياً وتاريخياً ، فإن الاستراتيجية العليا (السياسية) في نمط تفكيرها وعملها هي أهم تلك الأسباب المبهمة . وبالرغم من امتلاك العراق لعدد لا يستهان به من المفكرين والاستراتيجيين ، إلا أن هؤلاء لم يكونوا بالمواقع التي ينبغي أن يكونوا فيها ، ولم يخصّوا بالاحترام الكافي ، ووفقاً لمشاهداتي واحتكاكي بالمسؤولين عن ذلك التخطيط الاستراتيجي ، وجدت معظمهم بوضع ونمط وسلوك يثير الشفقة على مصير العراق والعراقيين ، لأن نمط التفكير والسلوك السياسي هو الذي فرض نفسه على معظم مستويات المسؤولية ،

فأصبح هؤلاء المسؤولون أشكالاً لا يملكون جوهراً ولا دوراً صميميّاً ليؤدّوه . فتنازلوا عن الكثير من المقومات الأدبية والأخلاقية والوظيفية قسراً ، أو لضمان استمرارهم بالمواقع التي هم فيها ، بالرغم من أن سفينة العراق أوشكت على الغرق .) 280 .

● بل حتى الحوار والتزاور بين القادة كان ممنوعاً ، خوفاً من تناجيهم بمؤامرة انقلابية ، وهل ينضج القيادي من غير حوار ؟

يقول الفريق رعد : (وكانت إحدى فرق فيلقي بالإضافة إلى لواء القوات الخاصة .. مشاركين في الأساس في خطة دفاع عن العاصمة ، وبحكم الضرورات الأمنية : لم أكن معنياً بتلك الخطة ولم أسأل يوماً قائد الفرقة أو آمر لواء القوات الخاصة أي شيء عن ذلك ، وهكذا هي طبيعة الأمور في قوات الحرس الجمهوري حيث يمنع علينا الزيارات المتبادلة خارج الواجبات الرسمية أو الاتصال بمقرات الجيش والقادة الآخرين ، أو الاستفسار عن خطط خارج مسؤولياتنا ، فتلك من المحرمات .) 287 .

● ثم التنافس الرخيص بين الأعوان الزائفين التافهين.

ووصل الأمر إلى حد قتل حسين كامل لوزير الدفاع عدنان خير الله ابن خال صدام في حادثة سقوط الهليكوبتر .

(لقد حامت الشبهات حول حسين كامل بأنه كان وراء الحادث ، وروى لي فيما بعد أحد أصدقاء المغفور له وهو طبيب عسكري معروف (ع ،ك) بأنه ذهب إليه حسب طلبه لغرض إجراء فحوصات طبية له قبل أيام من مقتله ، وبعد أن رفض فحصه لأنه على يقين من أن صاحبه غير مريض وبعد حوار قصير قال عدنان خير الله للطبيب وهو يشير إلى صورة للرئيس يظهر خلفه حسين كامل ، انظر إلى وزير دفاعكم القادم! لقد كان مرضه الحقيقي نفسي وناتج عن دسائس هذا الرجل ضده ، والله أعلم! لقد أكد لي بعض الأصدقاء ممن كانوا في أربيل ذلك اليوم أن الطقس لم يكن مستقراً ، وأن احتمال سقوط الطائرة نتيجة دوامة ترابية كان وارداً . في معارك التحرير لاحظت عندما كان الرئيس صدام يحضر لمقرنا حبه المفرط لحسين كامل ، وميله للأخذ برأيه في كثير من الأحيان ، وإن كانت آراء حسين غير سديدة ، ولا تقارن بآراء وزير الدفاع الذي كان شديد الاحترام للرئيس) 189 .

● ومن مظاهر ذلك : التسابق لتحصيل سمعة النصر ولو أدى ذلك إلى مخالفة الخطط وهدر الجهود . (فقد كان هناك تنافس شديد لكسب شرف دخول الفاو بين الفيلق السابع وقوات الحرس الجمهوري . وضمن هذا

الموقف ، أنّب حسين كامل بشدة رئيس أركان الفيلق السابع اللواء الركن حكمت عبد القادر الذي اتصل به هاتفياً وطلب منه إبلاغ قائده بكلمات مهينة برفض طلبه حيث كان حسين كامل يأمل أن يكسب شرف التحرير قبل غيره .

بعد ذلك ألحّ المشرف على الحرس الجمهوري حسين كامل لدفع لدفع اللواء 20 حرس جمهوري الذي يقوده جواد رومي الذي أراد من خلاله ضمان السبق بتحرير الفاو لاعتقاده أنه قريب جداً من مدخل المدينة وأقرب من اللواء 19 حرس جمهوري وكتيبة دبابات الفارس التابعة للواء المدرع 17 من فرقة حمورابي اللذين كانا على بعد كيلومترين ومشتبكين مع العدو . في الحقيقة ، كان اللواء 20 يبعد مسافة غير قليلة عن سياج المشروع 81 وكان يعتقد أن الفوج الثاني من اللواء 20 في شمال شرق المشروع أي أنه سيتمكن من تجاوز المقاومة ودخول المدينة سريعاً . لقد تمّ للمشرف ما أراد ، رغم اعتراضنا المؤدب على تغيير الخطة لأن حركة المشاة في الليل بطيئة جداً ، ولأننا آثرنا التمسك بأوقات تنفيذ الصفحة الثانية التي كانت مقررة فجراً ، ثم تلحقها الصفحة الثالثة للاندفاع إلى منطقة رأس البيشة ، إلا أن حسين كامل أصرّ على دفع ذلك الفوج ليلاً في حين وافقنا نائب القائد العام ، غير أن الرئيس أيّد حسين كامل ، ولم يجد هذا العمل نفعاً ... وقد لاحظنا بشكل غريب أن الرئيس يأخذ بمشورة حسين كامل أكثر من نائبه الذي كانت آراؤه أصوب وأكثر احتراماً له من الأول ، الذي كان في تصرفاته الكثير من الرعونة علاوة على الافتقار الشديد للخبرة .)153-154

بل يصل الأمر إلى حد تصفية لواء مدرع لمجرد اعتقاد حسين بأن هذا اللواء يوالي خصمه الذي هو ابن عمه ، فقد واجه اللواء الأول في الحرس الجمهوري (ظروفاً صعبة ومتقلبة منذ معركة الفاو ، أهمها أن المشرف على الحرس الجمهوري حسين كامل أراد تصفية هذا اللواء لاعتقاده أن معظم عناصره تدين بالولاء إلى برزان التكريتي الأخ غير الشقيق للرئيس ضمن صراع الهيمنة)124 .

● وفي الحرب الإيرانية تم صد هجوم في قاطع الشلامجة قرب البصرة بتعاون بين الفيلقين الثالث والسابع ، لكن (كان للتنافس غير المبرر بين قائدي الفيلقين آثار سلبية فيما بعد حينما بالغا كثيراً بحجم خسائر العدو في قاطعيهما ، حيث كان كل منهما يحاول أن يصور للقيادة العليا أن فيلقه كان الأفضل ، كلما أذاع أحد الفريقين رقماً بخسائر العدو : أذاع الفيلق الآخر

رقماً أعلى ، وتكرر ذلك أكثر من مرة ، مما جعل الكل مطمئناً أنه لا إمكانية للعدو في شن هجوم كبير إلا بعد مدة لا تقل عن ستة أشهر .)127 .

لكن الجيش الإيراني استأنف القتال ، مما يعني أن الاسترخاء الذي سببته المبالغة وما نتج عنه من قتول لاحقة هو في عنق مثل هذه القيادات التي تتجاوز التقدير الواقعي لمجرد شهوة الفخر .

● والإعدامات الظالمة زادت الطين بلة .

كان الفريق طه الشكرجي قائداً للفيلق الثاني في المرحلة الأولى من الحرب الإيرانية ، وهو معروف بقلة المروءة وارتكاب المجازفات ، وأخباره في ذلك مشهورة يتداولها عامة الناس ، والحرب تحوي الاحتمالين ، والمعارك تتناوب بين النصر والهزيمة ، وليس من العدل معاقبة القائد الذي يخسر معركة والتضحية به للتغطية على سوء تخطيط القيادات الأعلى منه أو ضغوط فارق القوة أو أي سبب آخر ، ولا يجوز طلب معجزة من المقاتل الذي يبذل وسعه ، وحتى الذي يعوزه الاتقان : هو أسير ظروفه ونوع أعوانه ، وغالباً ما تؤدي المفاجأة إلى هزيمة شجعان أذكياء ، ولذلك يجب التروي في العقاب ورؤية الأعذار ، لكن طبيعة صدام مالت إلى الإسراف في الدماء ، في الحرب وغيرها ، وسمح لمثل طه الشكرجي أن يقترف الظلم وعقاب الأبرياء .

(إن حكماً قد نفذ بإعدام آمر اللواء الثاني المقدم الركن محمد جواد باعتباره مقصراً ، وهذا الرجل كان من صنف المخابرة ، وكان يشغل منصب الملحق العسكري في بون بألمانيا ، ولا يملك الخبرة الكافية . في الحقيقة ، لم يكن المقدم محمد جواد يستحق هذا الحكم القاسي ، وهذا كان أول أحكام الإعدام التي توالت فيما بعد ، وأعقبه إعدام نقيب يدعى سعد ، وعدد من الجنود المنسوبين إلى نفس اللواء ، وبإصرار من قائد الفيلق المعروف بتهوره وقساوته .)73 .

● خسرنا الفاو . وفي محاولة لوقف تردّي الموقف ، أصدر قائد الفيلق اللواء الركن كامل ساجت ، وبدعم من رئيس أركان الجيش الفريق أول الركن نزار الخزرجي ، ورئيس الجمهورية أوامر بإعدام أعداد غير قليلة من الضباط والجنود ، وخاصة من القوات الخاصة . ونفّذت فيهم تلك الأحكام ميدانياً ، مما اضطر آمر اللواء 66 قوات خاصة العقيد الركن جعفر صادق إلى التسلل والوصول إلى بغداد ، ومقابلة الرئيس الذي أوقف تلك الإعدامات . إلاّ أن مقدّم لوائه العقيد الركن وفاء وعدداً آخر من الضباط ، و12 جندياً كانوا كل من تبقّى من لواء القوات الخاصة أعلاه

الذي نفذ به أمر الإعدام)146 . أي أنه إعدام جماعي ومجزرة .
● وفي أوائل الحرب الإيرانية احتل الجيش العراقي بعض القواطع الإيرانية (إلاّ أن العدو استعادها ، واعقب ذلك إعدام ستة ضباط أحدهم المقدم الركن أكرم المشهداني ، وهو من خيرة الضباط بتهمة التقصير . بعد فترة من الزمن قدّم الحاكم العسكري للفرقة عريضة إلى الرئيس صدام حسين يقوم فيها أن أحكام الإعدام بالضباط أعلاه تؤرقه ليل نهار ، وأنه خضع لضغط من قائد الفرقة ، وعليه بعد ذلك تم اعتبارهم شهداء ، وفقاً لرواية شاعت في حينها .)74 .
● وأن منطقة جفير قد أصبحت بيد العدو أي أن السيطرة قد فقدت على قاطعي شمال وشرق المحمرة فأحدث ذلك دوياً كبيراً لأن انهيار جبهة الغرب (الكارون) كان ينبئ بالكثير من الخطر على وضع مدينتي المحمرة والبصرة ، وكانت أعصاب القادة والآمرين مشدودة إلى أقصى الحدود ، بل أصبح العراقيون ينظرون إلى الموقف بتوجس كبير ، وذلك عندما أعلن بيان القيادة العامة يوم 1982/5/8 الموقف ، وسحب الفرقتين التاسعة والخامسة إلى الحدود الدولية (لقد اعتبر اللواء الركن صلاح القاضي قائد الفيلق الثالث وقائد الفرقة الثالثة وآمر اللواء المدرع الثاني عشر العقيد الركن محسن عبد الجليل مقصرين في تقدير الموقف وإدارة المعركة ، فاعدموا وكان الأخيران يحملان أعلى الأوسمة في حين ساهم الأول في عملية الاستيلاء على القصر الجمهوري لصالح حزب البعث في العام 1968 (وكذلك تسبب قائد الفرقة الخامسة في انتحار آمر لواء المشاة الآلي الخامس عشر العقيد الركن ماجد عبد الحميد عندما أحرجه في توقيتات مستحيلة لتنفيذ مهمة إعادة السدة الحدودية .) 83 .

وهذا الخبر الأخير في إحراج القائد لمن هو بمعيته حتى يدفعه إلى الانتحار هو خبر مهم حري أن نقف عنده ، فإن الإحراج ينافي سنن القيادة الأخلاقية ، وطلب المعجزة من الجندي باطل ديناً وعرفاً ، والمسلم معذور ان انهزم من لقاء أكثر من اثنين من الكفرة ، فكيف وهذه الحرب بين شعبين مسلمين ولمن يحجم تأويل هو بمنزلة الشبهة التي تدرأ الحدود الشرعية ؟ والتوقيت المستحيل نوع من ذلك .

● ومن أنواع هذا الإحراج : أن يبالغ القائد في الحث أو في التأنيب ، فيندفع التابع إلى هجوم خاسر ويرتضي الموت والشهادة ليدرأ عنه تهمة الجبن ، وفي معركة الجولان سنة 1973 (علمنا باستشهاد آمر كتيبة دبابات قتيبة الرائد الركن عبد الهادي الراوي الذي تقدّم غاضباً بدبابته

مسرعاً نحو دروع العدو ليثبت لآمر لوائه سليم شاكر الإمام أن عزيمته لم تُخْر حينما اشتدّت عليه مقاومة العدوالذي تسبّب في تدمير أعداد كبيرة من دباباته ، ومن دبابات كتيبة دبابات المعتصم بقيادة الرائد الرّكن زهير قاسم شكري ، ومن دروع الفوج الآلي .)24 .

❑ تحليل استراتيجي خاطئ أدى إلى دفع صدام لمحاربة إيران

□ كان الجيش العراقي في حالة من الإرهاق ، ففي حرب الجولان مع اسرائيل عام 1973 قدمت الفرقة المدرعة الثالثة فقد 323 شهيداً ، وهي التي ينتمي إليها رعد الحمداني ، وخسر الجيش 137 دبابة وناقلة جنود في تلك الحرب و26 طائرة . ص32 .

ثم بعدها مباشرة انشغل الجيش بقمع الثورة الكردية ، حتى بلغت خسائره 63 ألف إصابة ، وهذا رقم كبير وسببه اسناد شاه ايران للأكراد بصورة جادة .ص52

(ثم في 1975/3/6 أعلن عن اتفاقية المصالحة في الجزائر بين العراق وإيران لتحسين العلاقات بين الطرفين خلال مؤتمر قمة دول منظمة (أوبك) ، ونصّت على إنهاء التدخل الإيراني بالشؤون الداخلية للعراق ، وقد مثّل العراق نائب الرئيس صدام حسين ، ومثّل الجانب الإيراني الشاه محمد رضا بهلوي . وكانت هذه الاتفاقية نتيجة إيجابية لوساطة الرئيس الجزائري هواري بومدين لإنهاء النزاعات الطويلة ما بين البلدين الجارين . وعلى أساس هذه الاتفاقية تنازل العراق عن حدوده الممثلة بالضفة الشرقية لشط العرب ، واعتمد خط التالوغ أي منتصف المياه العميقة للشط كحدود فاصلة ما بين البلدين مع ضمان حرية الملاحة ، مقابل سحب دعم إيران لحركات التمرد الكردية ، حيث استدعى الشاه الملا البرزاني ، وأخبره بكل برود بأن الاتفاقية أصبحت نافذة المفعول ، فاستثمرت قيادتنا ذلك أفضل استثمار ، فحال ما تحسّن الطقس جرت اندفاعات سريعة بكل الاتجاهات لإنهاء تواجد المتمردين ، فانهارت مقاومتهم بشكل مذهل وما إن أعلن قرار القيادة بالعفو العام عن المتمردين من المواطنين الكرد حتى جاءوا كسيل منحدر من الجبال الشاهقة لتسليم أسلحتهم واستلام التعويضات المالية عنها ، وقد أفادت سجلات قاطعنا فقط

باستسلام أكثر من 14 ألف مسلح . وفي 1975/4/30 انتهت عمليات القضاء على التمرد .)51 .

وقبل أن يداوي الجيش جراحه حدثت الثورة الإيرانية التي سرعان ما استولت عليها فكرة تصدير الثورة إلى الخارج ، وواضح ولأسباب عديدة أن العراق هو أول هذا الخارج ، وتزامن ذلك مع استلام زعامة شابة لمقاليد الدولة والحزب منتصف عام 1979 متمثلة في صدام حسين الطموح .

كانت شخصية صدام (يحدوها الأمل في تحقيق حلم كبير جداً في انبعاث قدرات أمة عربية من المحيط إلى الخليج ، وإذا فشل الزعيم العربي الراحل جمال عبد الناصر في تحقيق ذلك الحلم للأسباب المعروفة ، فإن الزعامة الشابة القومية في العراق ، كانت لها كل الثقة في تحقيقه ، لكن كيف يتحقق هذا الحلم في ظل المنافسة التي يفرضها التيار السياسي الإيراني الجديد ، والذي يرى أن أول مكاسبه خارج إيران يجب أن تكون في العراق بوضعه الجيوبولوتيكي الواهن أمام عنفوان الثورة الإيرانية ، التي تعتبر العراق مجالها الحيوي الأول في المنطقة ؟ ونظراً لضيق مساحة الرؤيا الاستراتيجية لكلا النظامين ، كانا فريستين سهلتين للوقوع في الفخ الكبير الذي نصبته لهما الدول العظمى وفق (ميتاستراتيجياتها) كما يرى المؤمنون بنظرية المؤامرة والتي أعتمدت النفط كأهم مرتكزات استراتيجياتها العملية في منطقة الشرق الأوسط ، وأن أي احتمالية لتوافق المصالح ما بين العراق وإيران كما حدث بعد اتفاقية الجزائر عام 1975 ، يعتبر تهديداً جوهرياً لمصالحها القومية الحيوية ، وعليه وجدت الدول العظمى أنه ولأجل تحقيق استراتيجيتها فمن الضروري أن تقوم باستنزاف كلا البلدين في حرب اقليمية تسهّل عليها فيما بعد احتوائهما وتطويعهما لاستعادة موفقة لأمن تلك المصالح في هذه المنطقة الحيوية جداً لتحقيق مشروع الهيمنة العالمية كأقصى هدف استراتيجي رسمته السياسة العليا لتلك الدول العظمى .

وكردّ فعل على الإجراءات الإيرانية ارتكب العراق سلسلة من الأخطاء السياسية منها إلغاء اتفاقية الجزائر في 1980/9/17 ، وطرد كل عراقي يُشك بولائه لإيران ، وشملت عمليات الطرد العراقيين من أصول إيرانية بعدما تأكد ضلوع عدد منهم في الهجمات المسلحة على الاحتفالات الجامعية السياسية كحادث جامعة المستنصرية ، وشُنت حملة اعتقالات واسعة في صفوف حزب الدعوة الديني السياسي الموالي للثورة الإيرانية ، وذلك بعد

ثبوت تورط بعض أعضائه في نشاطات سياسية مضادة) 57 .
وقد اقتنع صدام (بفكرة طرحتها الدوائر الخفية بالوسائل البريئة أن أي هجوم عسكري عراقي سريع يتمكن العراق من خلاله احتلال قسم من الأجزاء الغربية من إيران لفترة مؤقتة ، مستفيداً من مرحلة التفكك التي يعاني منها الجيش الإيراني المحسوب على النظام السابق سيستقطب قدرات الثورة الإيرانية الفتية ، مما يؤهل وصول الوطنيين العلمانيين الإيرانيين والمثقفين بالثقافة المعاصرة إلى الحكم سريعاً ، واعتبر أن مثل هذا العمل سيكون بمثابة الفرصة التاريخية للعراق ولزعامته الجديدة لتحقيق أهداف استراتيجية ينبغي عدم تفويتها! وعليه مضى العراف قدماً في هذا الصراع ، واستعد لحرب خاطفة وسريعة على إيران كحرب وقائية .)57 .
(وعلى ضوء تقدير الموقف السياسي للقيادة فإن الحرب واقعة لا محال ، وأن هناك تصور عام لنطاق هذه الحرب ولنتائجها ، ومنها أن يتمكن الوطنيون الإيرانيون من الأخذ بزمام الثورة بعد عزل رجال الدين عن قيادتها ، وعن إدارة شؤون البلاد السياسية والاقتصادية ، وأن هناك تذمراً شديداً في داخل الجيش الإيراني من التدخل السافر للحرس الثوري بشؤونه ، وعليه طلبت القيادة العراقية من القادة وأمري التشكيلات في القوات المسلحة تقديم تقييم للقدرة القتالية يقدم بشكل محرر خلال 72 ساعة .)59 .

- ونظرة تحليلية بسيطة لطبيعة الجيشين العراقي والإيراني يمكنها أن تفسر لنا الكثير من وقائع الحرب بينهما ، وكانت كافية لتعظ الطرفين بوجوب عدم التصعيد ومحاولة تجنب الحرب . وأهم معالم هذه النظرة عند الفريق رعد ما يلي :
  - ينتمي كلا الجيشين إلى دولتين من قياسات العالم الثالث .
  - القيادة العسكرية يوضع فيها من هو أكثر ولاء للساسة .
  - تدني الإدراك الاستراتيجي لدى الجانبين ، وإن وجد من يدرك فهو معطل .
  - محدودية المستوى الثقافي لمعظم كبار الضباط .
  - يعتمد التسليح عند الجانبين على مصدر خارجي ، ويموّل من إنتاج النفط ، فإذا توقف إنتاجه : توقف التسليح .58.

❑ مجموعة دروس مهمة أبدتها صفحات القتال

o في الجانب العراقي يتناوب خطأ وصواب بصورة متكررة .
o فمن الخطأ الذي ارتكبه الجيش العراقي :

● بعد الجولة الأولى من الحرب : بدأ الجيش العراقي يقدم خسائر كثيرة .

يقول الفريق رعد : (وكرأي شخصي أعتقد أن معدلات خسائرنا المرتفعة تعود لسبب رئيسي ألا وهو أن قواتنا نفذت مهامها التعرضية على ضوء موقف سوقي (استراتيجي) وتقدير موقف يخدم أهداف التعرض الوقائي ، فقد كانت قواتنا قد انفتحت لأغراض الدفاع في الأماكن التي وصلتها سواء حققت أهدافها المرسومة لها أم لم تحققها فور تلاشي ذروة الهجوم في العمق الإيراني ، دون إعادة النظر بمعطيات الموقف الناتج عن ذلك ، أي أن ضرورات إعادة تحليل ساحات العمليات بما يخدم الدفاع وإعداد تقارير موقف تؤمن المهام الجديدة لم تتم وبناءً على هذا التصور لم تراعَ مبادئ الدفاع جيداً ، واستمرت وحداتنا وتشكيلاتنا المدرعة تقبع في أقصى الأمام مما كبدها خسائر كبيرة) 75 .

● وقال : (لم تكن حدود مسؤولية مقرنا واضحة فقد كانت المجموعة القيادية تتحرك ككتلة وتستريح ككتلة مما دعاني في آخر ليلة من شهر أيلول لطرح بعض الملاحظات باستحياء حول تطوير عملنا ، ولهدف خلق الإثارة المطلوبة ، بدأت كلامي باحتمال أسرنا جميعاً في هذه اللحظة من قبل دورية معادية أو من قبل مجموعة من الجنود الإيرانيين المتشردين الذين من المحتمل أن يكونوا قد أعادوا تنظيم أنفسهم في هذا الظلام الدامس ، وأشرت إلى ما يمكن أن يكون عليه وقع هكذا أمر في حال حصوله لا سمح الله على القيادة العليا) 65 .

● إن الملفت في الأداء القيادي الميداني لقواتنا هو الزج السريع للتشكيلات الوافدة لقاطع العمليات من قواطع بعيدة) (وقد كلفنا هذا الكثير من التضحيات والخسائر ، وتصدّع الروح المعنوية ، لأن الاستطلاع والاستحضارات تكسب نصف النصر في المعارك مسبقاً ، كما هو معروف)135 .

● وفي معركة المحمرة لاحظ الفريق رعد أنه (بالرغم من تفوق سلاحي الطيران والدروع إلاّ أن الاستخدام ظل نمط معارك المشاة ، حيث استخدمت الفرق المدرعة كفرق إسناد عمق ، وكان يفترض استغلال ذلك التفوق بمناورة الإحاطة الواسعة بفيلق مدرع يتألف من الفرق المدرعة (المدينة المنورة والثالثة ، والآلية الخامسة) من منطقة غزيل نحو الجفير والانعطاف شرق المحمرة لحسم المعركة خلال الأيام الأولى . ولقد ناقشت

هذا الموضوع مع الرئيس صدام حسين فيما بعد خلال إحدى اللقاءات لأن معركة الحصاد كانت حصاداً لنا كما كانت حصاداً للعدو) 136 .

● وفي بعض الأحيان فإن (محاور التقدم المؤشرة على خرائط الخطط- الورق الشفاف الذي (ترسم عليه طرق التقدم- المستلمة من رئاسة أركان الجيش كانت في معظمها غير دقيقة عند تطبيقها على الأرض لنقص المعلومات الاستخبارية ، فمن تلك الطرق ما كان غير صالح لاستيعاب قوات كبيرة أو كانت طرق تقطعها قطوع جبلية أو وديان سحيقة كطريق سومار-دارامان-كيلان غرب ، مما أدى إلى توقف بعض الأرتال خلال تقدمها وبحثها عن طريق آخر بديل أو تداخل أكثر من رتل على طريق واحد)65 .

● وتكثر إصابة المدافعين بالصدمة ، بحيث (يتعذر عليهم تكوين صورة حقيقية عن موقفهم ، فيحدث تهويل أو تبسيط ، وكلتا الرؤيتين غير صحيحة ، وعليه سيكون رد الفعل للمقر الأعلى وبحكم طبيعتنا الشرقية متشنجاً ، وفي أغلب الحالات تحجم المقرات المرؤوسة في البداية عن إعطاء مواقفها بصراحة ، لاعتبارات معنوية ونفسية ، فتحدث المفاجآت والانقلابات الخطيرة في تقارير الموقف اللاحقة)118 .

بينما طبيعة الانكليز مثلاً تختلف ، وهم يتصرفون في مثل هذه الحالات بأعصاب باردة ، ولكن بثقة ، ويكسبون بالتريث ما تحرمنا العجلة منه .

● وحصل سوء تقدير أكثر من مرة لطبيعة الهجوم الذي تباغت به إيران ، وفي معركة سقوط الفاو : (كان الموقف شديد الضبابية ، بالوقت الذي شعرنا فيه أن المقر الأعلى لا زال في حيرة من أمره ما بين ما يرى على أرض الواقع في الفاو ، وما تخبر به تقارير الاستخبارات التي تظن بأن ما يجري هناك ليس إلاّ هجوماً تضليلياً ، أي خدعة ، وأن الجهد الرئيسي للعدو سيكون في قاطع عمليات الفيلق السادس) 118 ، وهذا الإصرار جزء من ضعف التحليل الاستراتيجي .

● وبالرغم من مبدأ تأمين الدفاع عن القمم العالية المسيطرة إلاّ أن ما حدث في القاطع الأوسط أنه (تم إهمال الراقم " 1172 " ، وهو أعلى جبال السلسلة ، وأهم عارضة تحكم الحدود الفاصلة بين الفرقتين السابعة والثانية عشرة في القاطع الأوسط . وبالاستناد إلى خبرتي الجيدة بالقاطع اتفقت مع آمر اللواء الثاني العقيد الركن قاسم حمو على طرح هذا الموضوع في المؤتمر المسائي للفرقة التي أصبحت بقيادة العميد الركن طالع الدوري الذي نقل من الفرقة التاسعة وحل بدلاً من العميد الركن كامل

عبد اللطيف الذي تحمل مسؤولية الموقف السيء لهذه الفرقة في منطقة بحيرة الأسماك في الجنوب فأحيل على التقاعد ، وبالرغم من قوة مبراتنا إلا أن الرأي كان حاسماً وللأسف باعتبار الراقم قليل الأهمية . وفي اليوم التالي تم أسر ضابط استطلاع إيراني برتبة ملازم أول ومعه مخططات مناظرية تؤكد ما أشرنا إليه ، وقد قام باستنطاقه مقدم اللواء المقدم الركن عبد المنعم يسر إلا أن قائد الفرقة ظل متمسكاً بوجهة نظره مبرراً أن ذلك قد يكون خدعة ، ولم يوافق إلا على تخصيص سرية مغاوير فقط لمسك ذلك الجبل .

● في ليلة 1981/12/11 شنّ العدو تعرضه المتوقع مستهدفاً أولاً الراقم (1172) ، وتمكن من احتلاله بسهولة ، وحاصر بذلك اللواء الثاني ، وعزل الفرقة السابعة عن الفرقة الثانية عشرة معتمداً بالأساس على الحقائق الجغرافية ومعطياتها التعبوية ، فدارت سلسلة من المعارك لاستعادة هذا الراقم المهم ، ولتعزيز مواضع وحدات اللواء الثاني وقد تخلل تلك المعارك الكثير من سوء التقدير والاستعجال بالتخطيط ، وضعف التنسيق ولم يتم طرد العدو إلا صباح يوم 1982/1/5 .

(وكالعادة : غطى النصر كثيراً من السلبيات وتركها دون دراسة كافية .) 79 .

● ومن مظاهر الخطأ : عدم دراسة كثافة استعمال الطرق والجسور ، وإهمال شق طرق معاونة ، وفي معركة الفاو (أصيب الطريق الاستراتيجي بتخمة كبيرة بالسابلة والسابلة العرضية (السابلة هم مستخدمو الطريق من العجلات والدروع والأشخاص) بحيث توقفت الاحتياطات هناك ، ففي مسافة كيلو متر واحد تجد عشرات الدبابات ، وناقلات الأشخاص المدرعة ، والمدفعية بأنواعها ، وعجلات القدمات الإدارية ، وعجلات الإسعاف قد تداخلت فيما بينها وتكاد سرعة التقدم تقاس بعدة أمتار في الساعة ، أما الطريق الشمالي المحاذي لشط العرب فكان منطقة مضروبة بنسبة 60% . ورغم القتال البطولي (الفردي والجماعي) للقوات المدافعة وقوات الحرس الجمهوري ، إلا أن رؤوس الأرتال توقفت في نقطة القنطرة على الطريق الساحلي .) 119 .

وفي معارك تالية تكرر نفس الخطأ ، (وفي الوقت الذي كانت فيه القطعات تتنقل بصعوبة بالغة نتيجة السابلة العرضية للقدمات القتالية والإدارية ، حيث أصبح دخول القطعات إلى خط شروعها (خط جاسم) قبل الضياء الأخير يحتاج إلى معجزة ، فكيف يؤمّن وصولها قبل الساعة

15 :00 التي اعتبرت ساعة الشروع في المعركة! كان الموضوع من أساسه محكوماً بمعطيات موقف غير دقيقة ، حيث كان تصور نائب القائد العام أن القطعات جاهزة في مناطق اجتماعها . وكان مقرّ الحرس الجمهوري يتصوّر أن الطرق سالكة ، إلا أن حساب الخرائط يختلف عن حساب واقع الحال على الأرض ، وكان لسوء تقدير القيادة العامة ، وللحياء ، وللمعنويات العالية عوامل مضافة في عدم توضيح صورة الموقف أمام تصوّر القيادة بضرورة حسم الموقف قبل الضياء الأول لليوم التالي . وما كان يحسب لساعات اتسع لأيام طويلة جداً ، فتوالت بعد ذلك المواقف النحس) 129 .

● وقضية التكامل في استخدام الأسلحة قضية مهمة ، وأيما سلاح استراتيجي المدى يجب أن يحمى بحماية ترافقه ، لأن بطء حركته هو الغالب عليه .

(وفي الساعة 11 :00 من 1980/10/29مرّت من فوقنا طائرتان قاصفتان من قواتنا الجوية (تي يو 22) بارتفاع منخفض جداً نحو العمق الإيراني ، إلاّ أن هاجساً غريباً أحسست به حول مصير هاتين الطائرتين القاصفتين ، وعندما تأخرتا في العودة توقعت فقدانهما ، وللأسف سمعت عند المساء خبراً من إذاعة لندن نقلاً عن بيان عسكري إيراني أشار إلى إسقاط هذين النسرين الكبيرين أحدهما فوق طهران والأخر فوق قم ، وكان استخدام هذا النوع من الطائرات يتطلب الكثير من الشجاعة ، لأنه لم يكن يتوافر وقتذاك طائرات حماية لها تتمتع بنفس مدى الطيران الطويل الذي تتمتع به) 68 .

□ لكن هذه الأخطاء عادلها صواب وإنجاز كبير أحياناً .

● ومن مظاهر ذلك : إجادة التخطيط الدفاعي وإعداد الأرض وحسن التوزيع للقطعات ، فبعد مدة من بداية الحرب اتخذت سلسلة طويلة من الإجراءات الخاصة لإعداد ساحات العمليات ، وذلك حسب نوعية الأهداف وطبيعة الأرض ، وبشكل أفضل من السابق ، فشكلت فرق المشاة على أساس الدفاع الموضعي المستند على الموانع الطبيعية أو الاصطناعية ، ومنظومات إسناد بوسائل الاسناد الناري والإداري والهندسي والدفاع الجوي ، مع ارجاع القطعات المدرعة إلى العمق لتشكل قطعات الاحتياط ، وشغلت الثغرات بالدوريات والكمائن ونيران المدافع والهاونات وحقول الألغام . 85 .

● ومنها استثمار النجاح في معارك " توكلنا على الله " الأولى والثانية سنة 1988 في شكل قرار قيادي استراتيجي بإدامة زخم التعرض ، ففي

المعركة الثالثة (تأكد بشكل جلي الاقتدار العراقي ، كما تأكد أن الحرب الطويلة التي خضناها مع إيران قد كسبناها بعون الله . إن نتائج معارك التحرير الثلاث الأخيرة أكّدت بداية انهيار العدو ، وفقدانه الإرادة على القتال ، وأن معنويات قادته ومقاتليه أصبحت في الحضيض . وتأكد لنا أيضاً إصرار قيادتنا على إدامة زخم التعرض المقابل العام الذي بدأته قواتنا في 1988/4/17 ، وذلك بهدف استثمار الروح المعنوية العالية لقواتنا إثر الانتصارات السابقة ، ولعدم إعطاء العدو الفرصة لالتقاط أنفاسه ، وإن القرار على استمرار التعرض ليس بالأمر الهيّن وهو مجازفة محسوبة بدقة . وتجنب ما يفرضه الواقع من تعب وإرهاق القوات الاستراتيجية قوات الحرس الجمهوري إلا أنه كما يقال " المكافأة تستحق المجازفة) . 168

● وفي عام 1985 كانت المعركة الناجحة : (معركة تاج المعارك؛ المعركة الدفاعية التعرضية المثالية التي أظهرت كفاءة قواتنا المسلحة بشكل رائع ومشرف على مستوى التخطيط والتنفيذ من رأس القيادة العامة ، وحتى مستوى الوحدات الفرعية المقاتلة والساندة ، حيث تمثّلت فيها نتائج الخبرة الميدانية للسنوات المنصرمة من الحرب ، والإتقان الفني والتعبوي لجميع الأسلحة ، ورد الفعل السريع ، والمناورة ، وروح المبادرة ، والمعنويات العالية فكانت حقاً معركة تستحق التدريس في جميع المعاهد والأكاديميات العسكرية) 102 .

● وإتقان حركات الالتفاف ، فيقول الفريق رعد (تأكد لي عملياً وكذلك لرفاقي أن حركات الإحاطة للدروع واستخدام الدخان يحقّقان النجاحات بأقل الخسائر والتضحيات بالإضافة إلى تحقيق الصدمة في نفوس الأعداء ، ففي معركة الرتل الشمالي لم نخسر أية دبابة ، ولم نخسر أي مقاتل سوى 17 جريحاً ، بالإضافة إلى إعطاب دبابة واحدة فقط ، في حين كلفتنا معركة اقتحام الطريق شهيداً واحداً وسبعة جرحى وتدمير ثلاث دبابات وإعطاب رابعة ، أما كتائب اللواء التي اعتمدت الهجوم المباشر فكان معدل التدمير فيها 17 دبابة لكل كتيبة في معركة الرتل الشمالي .)111 .

● واستنبط القادة من التجارب اسلوب (الحركة على مستوى الفصيل ، أو بالقفزات المتعاقبة ، وأنه هو (الأجدى نفعاً) لأن الانفتاح بالرتل كان يصعب أحياناً و (لا ينطلق من خط شروع واضح) لطبيعة الأرض . . 122

● وقد يخوض الجيش معركة في قاطع لاجبار العدو على سحب قواته

من قاطع آخر ، وكانت بعض معارك الجنوب (عظيمة في النتائج غير المباشرة ، حيث اضطر العدو للانسحاب الذاتي من القاطع الشمالي ، من قواطع حلبجة-وبنجوين-وماوت-وحاج عمران)172 .

● وفي المعارك التي جرت في القاطع الأوسط في المرحلة الثانية من الحرب كان الهدف (أسر ما لا يقل عن عشرة آلاف شخص من ضباط وجنود العدو) (لذا رأى الرئيس ضرورة إنجاز أكبر ما يمكن للاستيلاء على المناطق الإدارية للعدو ، لحرمانه من عتاده وأسلحته ، وأشار إلى ضرورة استخدام القوات المحمولة لإحكام السيطرة على عقد الطرق ، وضمان أسر أكبر عدد ممكن) وحصل ذلك بالفعل ، وانهارت معنويات الجنود الإيرانيين ، وكانوا (يلوّحون للطائرات السمتية ولقطعاتنا الأمامية بهدف إخلائهم كأسرى شيئاً لا يصدّق . لقد كان شيئاً يصعب تصديقه ، فعند نزول طائرة سمتية وسط مجاميع من أفراد العدو كانوا يصعدون إليها متدافعين بالمناكب ، وقد أفاد أحد الأسرى ، وكان برتبة رائد ، أن القائد العام رفسنجاني قد زار القاطع يوم 1988/7/18 ، وكان من ضمن توجيهاته أن يبذل الجميع أقصى جهدهم لعدم الوقوع في الأسر ، حيث كان يعتقد بأن العراقيين سوف لا يتجاوزون كثيراً في العمق الإيراني ، وهذا دليل قاطع على الحالة السوداوية التي كان يعيشها قادة العدو ، واقتناعهم بأنهم خسروا الحرب . وقد بلغ عدد الأسرى ضمن مسئولية قوات الحرس الجمهوري 12100 أسير . وقد التقيت بمجموعة كبيرة منهم ، وكانوا بحالة لا توصف من اليأس ، وقد بهرتهم شجاعة مقاتلينا ، وسرعة حركتهم ، وكذلك الروح الإنسانية العالية التي عوملوا بها .)178 .

● وفي المعركة الناجحة التي استرجعت الفاو (أمر الرئيس صدام حسين بالسماح للعدو المنهزم بعبور شط العرب على جسر الأنابيب المقام من قبله لإشاعة روح الهزيمة في قطعات العدو في الضفة الشرقية)154 .

● وفي الصفحة الثانية من الحرب : حاز العراق طائرات ميراج وميغ 25 ، وهما مما يمكن إجراء الإرضاع الجوي لهما بالوقود ، مما جعلها قادرة على قصف الأهداف البعيدة ، وهذا تطور أشعر القادة الإيرانيين وسكان طهران بوطأة الحرب ، ولعبت هذه الطائرات دوراً مهماً في قصف العدو بالعمق ، بعدما توقفت قاصفاتنا الاستراتيجية " تي يو22 " منذ بداية الحرب لعدم توفر الحماية لها من الطائرات المقاتلة المحدودة المدى . 112-111 .

□ وأما أخطاء الجيوش الإيرانية فكثيرة أيضاً .

● منها : أنه بعد مدة من بدء الحرب فإن (سلوك العدو الإيراني بدأ يميل إلى قبول الخسائر الكبيرة ، نتيجة اعتماده أساليب القدمات المتعاقبة من المشاة دون مراعاة الاستخدام الجيد للأرض ، وقبل إكمال الصفوف الساندة لأدوارها ، كالمدفعية والهندسة العسكرية ، وذلك بواسطة قيادات صغيرة الرتب وبعض رجال الدين)74 .

أي أنهم اعتمدوا استراتيجية قتال جديدة يمكن تسميتها استراتيجية التتابع ، بعد أن أيقن الأعداء أن أهدافهم الرئيسية التي أعلنوا عنها بعيدة المنال ، ومنها احتلال العاصمة بغداد ، وذلك باعتمادهم على سلسلة من المعارك بحيث يجعلون الحرب طويلة وبأسلوب القضم المتواصل والمستمر لساحات العمليات ، وعندها سيكون حجم الإنجاز كبيراً مع استثمار التفوق السكاني الذي في صالحهم ، وتواجد أكثر من 60% من الأيدي العاملة العراقية على جبهات القتال ... فيكون بالإمكان إنشاء حكومة انفصالية في الأجزاء المحتلة وفقاً لتصوراتهم ، وبذلك يكسبون الحرب .
في ليلة 10-1983/4/11 شنّ العدو هجوماً كبيراً على قاطع عمليات الفيلق الرابع بمنطقة الفكة ، فدارت معارك سجال لمدة أسبوع واحد ، دحر فيها العدو الذي كانت معظم قواته من القوات شبه النظامية (الباسدران والبسيج) ، وتكبد خسائر كبيرة ، وتم أسر 417 جندياً من جنوده ، والاستيلاء على عدد كبير من دروعه ، وفي ذلك الوقت كانت جماهير شعبنا قد اعتادت على أخبار المعارك ، وبشيء من الطمأنينة اقتنعت بأنها حرب طويلة) 92 .

وعنصر الضعف في هذا الأسلوب أنه يكلفهم الكثير من القتلى ، وفي الحقيقة أن الجيل الثوري الذي نفذ الثورة الإيرانية استهلكه هذا الأسلوب في الحرب ، فكان أكبر خسارة استراتيجية للثورة ، لأن الفراغ مهد لصعود جيل نفعي أو لم يحز مثل معاناة ذلك الجيل الذي دفع إلى الموت تحت شعار " مسافر إلى كربلاء " ، فكان ذاك الأسلوب من أوضح دلائل قصر النظر عند الملالي الذي أهملوا مراعاة حاجات المستقبل وقبلوا أن تمحق الحرب ذاك الجيل الفريد في تضحيته .

● ثم إن اعتقادهم إمكان اسقاط صدام عن طريق تكوين حكومة انفصالية يدل على قلة إحاطة بواقع العراق وأسلوب صدام في تأمين سلطته .

● ومن الأخطاء : الإلحاح في تكرار هجوم فاشل كما في محاولة قاطع شرق وشمال البصرة ، إذ هجم أربع مرات ، ففي (ليلة 13-1982/7/14 ، شنّ العدو هجومه المرتقب تحت مظلة الحرب النفسية . فكان هجوماً واسعاً شمل قاطع

شرق البصرة وكان يهدف إلى احتلال الضفة الشرقية لشط العرب بما في ذلك منطقتي الشلامجة والتنومة والعبور إلى القرنة لعزل مدينة البصرة من الشمال ، وكان العدو قد نجح في اختراق الجبهة بعرض 15 كم وبعمق 20 كم ، إلا أن قواتنا قاتلت ببسالة ، وتمكنت من دحر الهجوم بعد احتوائه سريعاً ، وتمكنت من أسر 714 من جنود العدو ، إلا أنه كرر هجومه ليلة 16-1982/7/17 وبنفس الاتجاه والأسلوب ، فأضاف بحماقته هذه فشلاً إلى فشله السابق ، فطرد العدو مرة أخرى مذهولاً بصلابة مقاتلينا الذين أزدادوا شجاعة ، وثقة ، وهمة ، وإصرار على دحر الأعداء . لقد ساهمت العواصف الترابية مع مقاتلينا في دحر العدو ، مما افقد إعلامه الفعالية ، إلا أن العدو فقد صوابه على ما يبدو ، فزج بقواته في قاطع الشلامجة ليلة 20-1982/7/21 ، إلا أنه لم يحصد غير الهزيمة ، فاستشاط غضباً ، وشنّ هجومه الأخير بعد أن جمع له كل الامكانات وكان ذلك في الساعة 22 :00 يوم 1982/7/28 فدُحر بغير رجعة بعدما تكبد خسائر باهظة جداً ، وزفت أخبار النصر العراقي للشعب . وتجدر الإشارة إلى أن تضحياتنا كانت كبيرة ، فقد خرجت جراء هذه المعركة الفرقة المدرعة التاسعة من القتال بعد تكبدها خسائر كبيرة في معركة الاحتواء في منطقة بحيرة الأسماك .)86 .

وعادات المحاولات الايرانية إلى نفس الاسلوب في منطقة بحيرة الأسماك قرب البصرة (فأثار ذلك عجبنا : ماذا يريد العدو من قاطع الاختراق الصغير هذا ، ولم تكن فيه بقعة من الأرض بمسافة أمتار قليلة ، إلا وقد سقطت فيها مقذوفة مدفع ، أو صاروخ راجمة ، أو قنبرة هاون ؟ كان تقديري لعدد فوهات مدافع الميدان ، والراجمات ، والهاونات ، ومدافع الدبابات العاملة هناك قد زاد عن ثلاثة آلاف فوهة لكلا الطرفين . وتحوّلت المعركة إلى معركة استنزاف مكلفة . وكان الإصرار المعادي على استمرار شنّ الهجمات الصغيرة والميؤوس منها غير مقنع ، ولا يتّفق مع المنطق السليم للقتال . فلقد كان العدو يضخّ إلى جبهات القتال أرتالاً من القطعات النظامية وغير النظامية كجنود ، وينتظرهم خلف مواضع القتال مجموعة من الآمرين الصغار فيكوّنون مجموعات قتالية صغيرة تحدّد لها أهداف صغيرة؛ ومنها ما قد يكون بمدى بعيد . وأي مجموعة تحرز نجاحاً ما ، تدفع بمجموعات إلى العمق لاستثمار ذلك النجاح . كان قتالاً غير نمطي لم نألفه كجيش منظم جيداً . ومن جانبنا كان الإصرار أكبر على الدفاع)133 .

- ومن الأخطاء : تكديس العتاد في منطقة مركزية على الجبهة يمكن أن

يطالها الجيش العراقي ، وذلك ما حدث في القاطع الأوسط حين استولى عليها فعلاً ، و (قامت سرايا التموين والنقل للقيادات بأقصى جهد لنقل الأعتدة المستولى عليها ، وكانت بأرقام فلكية ، مما اضطر مقرنا إلى اتخاذ قرار بتدمير ما لا يمكن إخلاؤه)177 .

● وما عدا المباغتة التي نجح فيها الجيش الإيراني في احتلال الفاو ، فإن أساليبه الخاطئة هذه لم يجبرها غير صواب واحد يذكره الفريق رعد . ففي الوقت (الذي اعتبرت المحمرة الوسادة الأخيرة التي تغفو عليها البصرة ، كانت المجموعات القتالية المعادية الصغيرة التي بثت ما بين قطعاتنا المدافعة تحدث إرباكاً عاماً بالموقف(وهذا أسلوب جديد اتبعه العدو ، وعندما يجد الفرصة المناسبة يزج قواته الرئيسية لاستثمار أي نجاح تحققه تلك المجموعات) ، فسقطت مواضع اللواء 426 أولاً فانفتحت ثغرة واسعة اندفعت منها قوات معادية كبيرة ، وفي ليل 1982/5/25 سقطت المحمرة عندما دخلتها القوات المعادية من الشمال ومن الجنوب عبر نهر الكارون ، فانسحبت قواتنا هناك إلى خط الحدود الدولي)84 .

❑ عندما تتدخل الأقدار الربانية ..!

□ يشاء العباد شيئاً ، ويشاء الله تعالى خلافه ، ويصبر الجيش طويلاً حتى يتربى قادته ويجمعون الخبرة العملية ويقترب من جودة التخطيط التي يمارسها هؤلاء القادة ، ثم يحصدهم الموت جملة واحدة ، ولله الحكمة البالغة فقد ابتهج الجيش الإيراني لاستعادته قاطع عبادان وشرق الكارون ، ولكنه في اليوم الثاني فقد وزير دفاعه فاخوري مع 96 ضابطاً من القيادة الإيرانية قضوا بحادث سقوط طائرة نقل عسكرية من نوع هيركليس س 130 قرب طهران بعد عودتهم من قاطع عبادان . 77

● وتزامن ذلك مع (بدء الصراع الدموي بين مراكز القوة الحاكمة في إيران ، فتم إقصاء رئيس الجمهورية الذي تمكن من الهرب إلى فرنسا بعد مقتل عدد من مساعديه ، وأعقب ذلك الحادث انفجار كبير في مقر الحزب الإسلامي عندما كان بهشتي يلقي كلمة فقتل مع 72 من ملاكات الحزب المتقدمة ، واتهم بهذا الحادث أطراف أخرى منها منظمة مجاهدي خلق ، وسبق ذلك الحكم على صادق قطب زادة زير الخارجية بالإعدام بعد اتهامه بالعمالة للمخابرات الأمريكية ، وفي 30 آب حصل انفجار مدمر

في مكتب رئيس الجمهورية الجديد محمد على رجائي ، أدى إلى مقتله ، وعدد من مساعديه ، وانفجار آخر أودى بحياة رئيس الوزراء الجديد محمد جواد باهونار بالإضافة إلى عدد من الوزراء ، وتلى ذلك سلسلة من الحوادث الصغيرة وهي نتيجة حتمية للتركيبة غير المتجانسة لمكونات النظام السياسي في إيران ، واستمر الصراع إلا أنه أصبح على نطاق ضيق بين (الحجتية) رجال الدين و (المكتبية) الإصلاحيون العلمانيون ، أي بين المحافظين والإصلاحيين .)76 .

● وخدمت الأقدار صدام حسين من جهة أخرى ، فمن ذلك مقتل 286 من جنود المارينز في هجوم على السفارة الأميركية في بيروت ، فانحازت اميركا نحو جهة صدام ، وبعث الرئيس الأميركي ريغان مبعوثه رامسفيلد لمقابلة صدام ، وهي رسالة اسناد على كل حال وإن كنا لا نعلم فحواها بدقة ، ونتيجة لذلك اسندت دول الخليج العراق مالياً ، وبخاصة عندما انهارت أسعار النفط عالمياً ، وانحاز الاتحاد السوفييتي إلى العراق بعد ضرب حزب تودة الإيراني الشيوعي ، فهذه كلها ظروف دولية مؤثرة .

وانطلقت فضيحة سياسية في أميركا حول صفقات سلاح لإيران دون علم الكونغرس في أواخر سنة 1986 وسميت القضية إيران غيت ، فصار حصول إيران على سلاح أميركي أصعب .

● وفي وقت لاحق أثناء الحصار خدمت الأقدار صدام مرة أخرى حين عجز بوش الأب عن اسناد ثورة الشيعة في المحافظات الجنوبية بعدما حرضهم في أعقاب تحرير الكويت ، حيث قمع صدام الإنتفاضة .

(وقد وظّف خصوم الرئيس من ديمقراطيين وغيرهم هذا الموضوع سياسياً وإعلامياً ومنهم الكاتب الصحفي الأميركي الصهيوني الشهير جوناثان راندل بكتابه مفترق أمة . لهذه السبب ولأسباب أخرى خسر الرئيس بوش ، والجمهوريون فرصة الفوز بولاية ثانية ، وحلّ محله مرشح الحزب الديمقراطي بيل كلنتون) 262 .

❑ السقوط المريع للفاو

□ كان الحدث الأخطر عام 1986 سقوط مدينة الفاو وشبه جزيرة الفاو التي يشكل رأس المثلث فيها (رأس البيشة) ملتقى شط العرب وخور عبد الله في الخليج العربي ، وقاعدة ذلك المثلث هي الخط المار شمال المملحة من شمال رصيف أم المعامر على شط العرب حتى خور عبد الله عند نقطة دالة هي السفينة الجانحة قرب الشاطئ . واعتبرت معركة الفاو معركة المنعطف سواء وقت سقوطها أو عند تحريرها بعد عامين تقريباً مع تضحيات جسيمة بلغت قرابة ثلاثة وخمسين ألف شهيد في صفوفنا)116 .

● (لقد دخل اللواء 3 قوات خاصة الحرس الجمهوري واللواء 4 مشاة حرس جمهوري المعركة دون استحضارات ، وعلى ضوء معلومات مشوشة للغاية ومتضاربة . وكانت مسؤولية الفاو بالأساس تقع على عاتق الفرقة 26 بقيادة العميد الركن ماجد ، والذي واجه تفوقاً كبيراً حققه العدو ، بالإضافة إلى المباغتة السوقية (الاستراتيجية) . وفي مثل هكذا مواقف ، وفي معظم المعارك تكون حالة الإرباك هي السائدة لعدة أسباب أهمها أن العدو قد ركّز تفوقه في المكان وفي الزمان الذي اختاره هو ، وكذلك استطاع أن يحدّد حرية الحركة للمدافع من خلال عدة اختراقات أو توجيه ضربات عنيفة بوسائط إسناده النارية ، وغاراته الجوية ،)118 .

وكانت 70% من مقذوفات مدافعنا وطائراتنا تمتصه الأرض الرخوة . 120 .

فأصبح القتال بطيئاً للغاية مع حرمان القطعات من الإسناد الجوي ، ورافق ذلك نجاحات للفيلق الأول شمال القطرحيث تمّت استعادة مواضع اللواء 504 من العدو ، مع قيام الفيلق الرابع بقاطع شرق العمارة بهجومين متتاليين ، فتمّت استعادة جزء من منطقة الشرهاني المحتلة ، وجزء من مواضع الفكة ومنطقة نهر دويريج . وشن الفيلق الثاني هجوماً آخر على عدد من الرواقم في قاطع حران . لقد تمّت هذه السلسلة من الفعاليات العسكرية الجريئة بهدف استثمار الفراغ الجزئي لبقية قواطع العمليات من قوات العدو ، ولإجباره على سحب نسبة من احتياطاته . إلا أن العدو لم يعِرْ أية أهمية لذلك . أعقب ذلك في 1986/3/22 هجومين للفيلقين الأول والخامس ، وتمت استعادة العديد من الرواقم الجبلية في منطقة بنجوين وحاج عمران وأهمها جبل كرد كو . وقد ترافق الهجومان مع قصف جوي استراتيجي لأهداف اقتصادية في العمق الإيراني كمصافي النفط في أصفهان ، وتدمير جسر قطورة السوقي الذي يربط

إيران بتركيا ، وكذلك جسر القطار الذي يربط إيران بالاتحاد السوفياتي . إلا أن العدو ظلّ يعزّز احتياطاته في قاطع الفاو للاحتفاظ بنجاحاته .)122 .

❑ تحرير الفاو عمل استراتيجي جيد

● يقول الفريق الركن رعد الحمداني :
(لقد تكلمت عن معارك عام 1986 من سفر الحرب العراقية الإيرانية ، وكانت معركة الفاو أشهر معارك ذلك العام وأقساها نتيجة لسقوط تلك المدينة العراقية العزيزة بيد العدو بالرغم من كل الإصرار والتضحيات لتحريرها . وبرؤية حكيمة كان قرار القيادة الصبر والانتظار لبناء مشروع كبير ومضمون لتحريرها ، مع استمرار حصار العدو فيها ، وجعلها مقبرة كبيرة لجنوده . كان من أساسيات ذلك المشروع الكبير توسيع تشكيلات قوات الحرس الجمهوري وإعدادها لمعركة تحرير الفاو ، وكبداية لمشروع أكبر هو تحرير كافة الأراضي العراقية التي احتلها العدو .)127 .
● وقد اتضح أن ثقل السوق المعادي سيتجه شمالاً ، وذلك للاستفادة من عناصر التفوق التي يملكها العدو في ساحات العمليات الجبلية وفق سَوق التتابع الذي انتهجه العدو منذ أربعة أعوام مضت من الحرب وأن تطوير مكتسباته هناك غير مكلفة بالوقت الذي أصبحت راوندوز تحت سيطرته . إن الكثافة السكانية للعدو تعتبر ميزة جيدة له مع إمكانية لقبول الخسائر والاعتماد على صنف المشاة غير المكلف بالتسليح . لقد مضى عام ونصف العام ، وفي هذه الفترة ارتفعت تضحياتنا وخسائرنا لأرقام أصبحت مقلقلة جداً ، وفي 1987/5/26 شعر العراقيون وهم في الأيام الأخيرة من شهر رمضان بوطأة الحرب ، ولم تبدُ عليهم ملامح الفرح كالمعتاد في استقبال عيد الفطر . وأظهر الاقتصاد العراقي بعض القلق بسبب الانخفاض الحاد في القيمة الشرائية للدينار العراقي مقارنة بالعملة الصعبة .)136 .
● بدأنا بهيكل الخطة العامة (فكرة العمليات) ، ثم بجدول طويل من محاور الاستحضارات ، مع وضع جدول زمني لكافة الفعاليات (خطة التحشد وخطة المخادعة) ، وكان إجمالي الألوية المخصّصة لتنفيذ المشروع عشرين لواءً مختلفاً ، و44 كتيبة مدفعية وصواريخ ، بالإضافة لآلاف الأطنان من مواد تموين القتال ، وخمس كتائب هندسة ، مع قيامنا بالاستطلاعات الرئيسية والتفصيلية لبعض المحاور والأهداف ، صدر ثاني توجيه تخطيط للقادة المنفذين ، وعرضت الخطة أمامهم ، وطلب منهم

عرض خططهم تحت غطاء تمرين تعبوي ، وكانت المشكلة الأساسية هي معالجة معضلات التربة الرخوة ، والقنوات المائية ، والموانع المركبة لإنجاز الصفحة الأولى من القتال . وكان قد حدّد يوم 1988/4/15 يوم ي(أي يوم الشروع بالقتال) لقد كان الإعداد لهذا المشروع جارياً فيما المعارك مستعرة في القاطع الشمالي الشرقي من القطر . ورافق ذلك سلسلة من الإخفاقات ، وكان الموضوع حساساً جداً ، وعليه كان يتوجب على قواتنا تحقيق النصر المنشود ، وإلا فإننا سنخسر الحرب لا محالة . إن القرار السوقي (الاستراتيجي) الخطير الذي اتخذه الرئيس صدام حسين (بإبقاء مركز ثقل السوق العراقي في أدنى الجنوب ، بالرغم من أن مركز ثقل السوق المعادي الإيراني قد حقق نجاحات كبيرة في أقصى الشمال الشرقي للعراق) كان بالتأكيد قراراً استراتيجياً شجاعاً مبنياً على حسابات دقيقة ، مع مجازفة كبيرة في ظل الظروف القاسية . ورافق ذلك خطة مخادعة سوقية (استراتيجية) ، أعدّت بدقة عالية ، حتى أن رئيس أركان الجيش الفريق أول الركن نزار الخزرجي كان يعتقد أن تلك الخطة هي الحقيقة ، وفقاً لما سمعناه من مدير الاستخبارات العسكرية (الغريب أن يستبعد رئيس أركان الجيش من المشاركة والإشراف على أخطر عملية في الحرب ، في حين أشرك معاونه للعمليات الفريق الركن حسين رشيد ، ومدير الاستخبارات العسكرية اللواء الركن صابر الدوري ، ومعاونه العميد الركن وفيق السامرائي ، وعدد آخر من ضباط وزارة الدفاع في عملية التخطيط هذه!) وهذا بالتأكيد أحرج أركان الجيش كثيراً) 148 . ولكن اللواء عبد الوهاب القصاب في مقدمته لكتاب الحمداني ينفي هذا الخبر ويؤكد علم ومشاركة الخزرجي في التخطيط للفاو .

- (كان للقرار السوقي (الاستراتيجي) الخطير بتحرير شبه جزيرة الفاو بالتأكيد ما يبرره :
  - إن 70% من القدرة الإيرانية تعمل في ساحات العمليات الشمالية .
  - إن 60% من القوة المدافعة في قاطع شبه جزيرة الفاو المحتل قد تحرّكت شمالاً .
  - توفر معظم قوات النخبة في القاطع الجنوبي ومنها قوات الحرس الجمهوري مركز ثقل الجيش العراقي .
  - العدو في حالة غرور ، وقد أعمت بصيرته نجاحاته الأخيرة في الشمال . وبات يعتقد أن زمام المبادرة لن يفلت من قبضته حتى نهاية الحرب .

o اصبحت الفاو أكثر من هدف سياسي ووطني ، وشكّلت حاجزاً نفسياً صعباً للغاية ، وعليه فتحريرها سيشكل بلا شك منعطفاً خطيراً في الحرب لصالحنا .

● وفي ذلك الوقت ، في العام 1986 ، صرّح خامنئي أنه سيذهب إلى بغداد ليهنئ صدام حسين إذا ما تمكّن من استرجاع الفاو .

● كانت المعلومات المحصلة عن القطاع المحتل في الفاو جيدة بل ممتازة ، حيث إن آخر تصوير جوي للقاطع بتاريخ 1988/3/30 كان يحتوي على تفاصيل دقيقة جداً عن توزيع القطعات ، والأسلحة ، والعقد الدفاعية ، والأسلحة الساندة . وعلى غرار المعلومات المحصلة سابقاً ، تمّ إعداد وإنشاء مسرح قتال مشابه جداً في قاطع العمارة (الأهوار) ، وتدرّبت معظم الوحدات والتشكيلات على طبيعة الأرض ، وعلى أهداف مشابهة لما ستواجهها في معركة التحرير . وثابر قائد قوات الحرس الجمهوري على رفع قدرة قواته لبلوغ المستوى الذي يؤمّن لها الظفر في القتال لتحرير الفاو ، وهي المهمة التي أقسم على تحقيقها حين استلم مسؤولية الحرس الجمهوري . وكان الرئيس صدام موفّقاً في اختيار هذا القائد المثابر والشجاع جداً)149-150 .

● وبدءاً من الساعة 06 :00 شاركت الدبابات المخصصة لتدمير النقاط الحصينة الأمامية من على منصات صنعت لها ، وقد خصّص مدفع واحد لمشاغلة كل مرصد معادٍ بعتاد الانفلاق الجوي ، وشاركت القوة الجوية ، وعدد من زوارق البحرية في مرحلة القصف التمهيدي . وفي تمام الساعة 06 :30 ، انطلقت وحدات الصولة لاقتحام الحاجز النفسي الكبير (إن حجم الخسائر الهائلة التي تكبّدها جيشنا خلال السنتين الماضيتين في الفاو أحدث حاجزاً نفسياً كبيراً أمام قواتنا) وحاجز منظومة الموانع تحت ستر النار الساترة . بعدها لم ننتظر كثيراً ، فسرعان ما بدأنا نستمع من خلال الاتصالات (الأجهزة اللاسلكية) البشائر الأولى للنصر ، ثم لم تتأخر القطعات المعقبة الأخرى من زف أخبار النصر الواحد تلو الآخر ونحن غير مصدقين من سرعة ذلك النجاح ، وكنت بين الحين والآخر أنظر إلى وجه القائد فلا أجد فيه أثراً للمفاجأة ، فكأنه كان واثقاً كل الوثوق من نتائج هذا الهجوم سلفاً . بعد مرور ست ساعات ، كانت كل التشكيلات الأمامية في أهدافها عدا قاطع لواء قوات خاصة 16 حرس جمهوري الذي كان بإمرة العقيد الركن طلال القيسي حيث كان المانع المائي كبيراً وعميقاً ، وقد تركّزت أمامه قوة معادية كبيرة)152 .

● قلب هذا النصر الموازين ، وارتفعت معنويات قواتنا وشعبنا إلى عنان السماء ، وحلت الصدمة بالعدو ، وكأنه لم يصدّق ما حدث . وعصر ذلك اليوم ، حلّق الرئيس صدام حسين ووزير الدفاع فوق الأراضي المحررة بواسطة الطائرات المروحية . وكانت آثار القصف المدفعي والصاروخي إحدى الملاحظات التي تكلّم عنها الرئيس فيما بعد . وأثر التخطيط والاستحضارات الجيدة في تحقيق النصر ، والحق يقال كان نصراً للسَوق (للاستراتيجية) قبل أن يكون نصراً في ساحة القتال ، لأن الإبقاء على مركز ثقل السَوق العراقي الذي نفّذ الهجوم على الفاو في أقصى الجنوب فاق قدرة الخصم على ردّ الفعل نظراً لبعد مركز ثقل قواته المتواجد في أقصى الشمال ، أي أن هذا القرار السَوقي (الاستراتيجي) الخطير والشجاع للرئيس صدام حسين حقق شرطين أساسيين لكسب المعركة (التفوق في الزمان والمكان ، والحصول على حرية العمل) .

كانت تضحياتنا مقبولة فلم تتجاوز ألف شهيد بكثير ، في حين سبق ذلك اكثر من واحد وخمسين ألف شهيد خلال سقوط الفاو ومعارك الهجوم المقابل .)155 .

لقد حدث ما توقعه الرئيس صدام حسين من أن معركة تحرير الفاو هي بوابة النصر الكبير ، وأنها معركة المنعطف لكسب الحرب ... أما إيران فاعتبرت خسارتها لهذه الحرب نتيجة لمؤازرة أميركا والغرب للعراق . بل ذهب بعض المسؤولين الإيرانيين بعيداً حينما قالوا إن الأميركيين شاركوا بالمعركة إلى جانب العراقيين ، وادّعى بعض المحللين العرب أن التخطيط لهذه المعركة يعود إلى ضباط ركن مصريين (في الحقيقة أن هذين الإدعائين باطلين)155 .

❑ جريح .. يتطلع لصناعة معجزة ..!

□ خرج العراق من معركته مع إيران في شبه انتصار ، إذ استطاع ايقاف خطة الخميني في تصدير الثورة ، وسحق جيل الثورة ، ولكن العراق أدى ضريبة كبيرة لتحقيق ذلك وخرج مثخناً بالجراح ، ولكن تجمعت لدى قادة وضباط وجنود الجيش العراقي خبرة قتالية ممتازة لا توجد في المنطقة .

من هنا : أسرع صدام إلى التفكير بصناعة مجد شخصي له من خلال حلم وردي بتحرير فلسطين وهو في هذه الحالة البائسة ، فالجيش حاز

خبرة ، لكن سلاحه مستهلك وميزانية العراق محدودة .
● وكان الفريق رعد قد شارك في حرب الجولان عام 1973 ، وشهد كيف (كان الجيش الإسرائيلي شجاعاً ومنظّماً ويمتلك مهارات قتالية عالية ويدل هذا على التدريب الراقي والثقافة الجيدة كما أن التنسيق العالي ما بين قواته البرية ، وقواته الجوية ، ومرونة القيادة ، والدرجة العالية في إدارة المعارك أبهرتنا ... لقد تركت هذه التجربة في نفسي آثاراً ايجابية عديدة أفادتني كثيراً في حياتي المهنية فيما بعد)33 .
ومثل هذا الحال للعدو يستدعي إعادة تربية لقيادات الجيش العراقي ، وإعادة تسليح ، وتعاون مع بلاد عربية وإسلامية أخرى ، ولكن طبائع المغامرين لا تلتفت إلى مثل ذلك .
● وأول ما أهمله صدام : سلبيات الحرب مع إيران ، وكأنه تناساها . (إن نتائج الحرب بشكل عام كانت إيجابية لصالح القوى العالمية الكبرى ، وبعض القوى الاقليمية في المنطقة ، فإضعاف العراق وإيران على المستويين الاقتصادي والعسكري ، وإضعاف منظمة أوبك ، مع دخول تلك القوى عسكرياً إلى الخليج العربي ، وإحكام سيطرتها عليه ، تعتبر مكاسب كبيرة لها) 143 . وتنفيذاً لتطلعاته : جمع صدام كبار الضباط وأمرهم بالتفكير الجدي لتطوير أسلحة الجيش دون ما يوازي ذلك من تطوير القادة . (وركز على الأسلحة السوقية (الاستراتيجية) وخاصة صواريخ أرض/أرض بعيدة المدى ، وأمرني بلقاء قائد سلاح الصواريخ العراقية العميد الركن حازم عبد الرزااق شهاب . في ذلك الوقت كان سلاح الصواريخ سلاحاً فتياً ، إلا أنه كان يقفز قفزات متواترة نحو امتلاك ما يسمى بالذراع العراقية الطويلة مع القوة الجوية العراقية التي تطورت في نهاية الحرب كثيراً- لكي أعرف من قائد ذلك السلاح أية معلومات عن انفتاح بطاريات العدو (الاسرائيلي) ومواقع أسلحته النووية . بعد ذلك اللقاء أيقنت أن القيادة العراقية بدأت بالتفكير الجدي للمشروع القومي بتحرير فلسطين لأنه محور نظرية حزب البعث العربي الاشتراكي ، والمعلن عنه بكل وضوح ، أضف إلى ذلك أن طموح الرئيس صدام حسين الكبير ، لن يدعه يترك تلك الفرصة الذهبية تفلت منه .)185 .
أي حتى مثل الفريق رعد بدأ يؤمن بالسراب وأنها فرصة ذهبية . يقول : و(شرعنا بإعداد تمارين تعبوية (تكتيكية) لاقتحام خطوط الدفاع الأولى لإسرائيل كصفحة أولى ، وهذه الخطوط عبارة عن سلسلة من المنعات الدفاعية المقامة على المرتفعات الحاكمة والمسيطرة على

المقتربات الأردنية .)188 .

و(استمرت فعالياتنا التدريبية من محاضرات ، وإيضاحات ، وتمارين لرفع كفاءة قواتنا لمنازلة الإسرائيليين بجدية عالية ، ومما لا شك فيه أن للعدو آذان وعيون وعقول تسجل وتستنتج الكثير . وقد زارت خلال تلك الفترة ساحات العمليات التي جرت فيها المعارك الكبرى في الحرب العراقية الإيرانية سلسلة من الوفود العسكرية العربية والأجنبية ومن ضمنها وفود أميركية للاطلاع على الخبرة العسكرية العراقية وبالتأكيد كان لقسم من تلك الوفود العسكرية غايات أخرى) 192 .

● وأرسل صدام رعداً وغيره لاستطلاع الجبهة الاسرائيلية (وقبل البدء بمنهج الاستطلاع الكبير الذي شمل ما يقارب الستمائة كيلومتر وهي معظم الحدود المشتركة مع فلسطين المحتلة ، استقبلنا رئيس أركان الجيش الأردني الفريق الركن فتحي أبو طالب وبعض معاونيه وقد بدا الاحترام الكبير الذي نحظى به من لدنهم واضحاً . كما يمكنني أن أسجل دقة مواعيدهم ، والتزامهم بالتوقيتات ، وتمسكهم بالتقاليد العسكرية وكلها دلائل على مستوى تحضر هذا الجيش العربي ، إلا أنهم كانوا بعيدين جداً من فكرة الحرب ضد اسرائيل) 186 .

ومجرد هذه السلبية كانت كافية للحكم على خطة صدام بالفشل ، إذ كيف يحارب اسرائيل عبر جبهة لا يؤمن أصحابها بالحرب ؟

● بل أكثر من هذا ، فإن الخلافات العربية جعلت الجيش الاردني معطلاً على الجبهة السورية ليصد عدواناً من الشقيق لا العدو ، ثم يبدو إن صلحاً أردنياً مع اسرائيل كان معقوداً في السر ، ولذلك لم يولِ الأردن أي عناية لساحة عملياته لو وقعت حرب مع اسرائيل . (فأفضل الفرق معززة بقوة مضافة كانت منفتحة على الحدود الشمالية مع سوريا- في تلك الفترة كان هناك أزمة سياسية بين البلدين-بينما كانت باقي الفرق في العمق ، وبوضع لا يوحي باي قلق حالي أو مستقبلي من أي تهديد قد يأتي من جهة فلسطين كما أن ساحة العمليات الأردنية الطويلة لم تهيئ بأي شكل من الأشكال لأي صراع مع الإسرائيليين)187 . واللبيب تكفيه الإشارة .

❑ الظروف التي دفعت صدام نحو احتلال الكويت

□ تشكلت ظروف نفسية بعد انتهاء الحرب مع إيران تؤسس مزيداً من الغرور في أعماق صدام وبعض قادته . (خرج العراق من تلك الحرب وهو يظن أن سيكون المقتدر في ريادة هذه الأمة بمسيرتها نحو أهدافها وأمانيها المشروعة .

خرج العراق وهو يمتلك الثقة والقدرة بنفسه ، فهو يمتلك أكبر جيش عرفته المنطقة في تاريخها . خرج العراق من تلك الحرب ، وهو يمتلك أكبر قاعدة تصنيع عسكري ، وخبرة قتال عالية ... خرج العراق والشعب أكثر تماسكاً والتصاقاً بقيادته وفق ما يرى في الظاهر .)183 .

(وحركت كل الآمال وكل الأماني ، وصار اليقين أن أحلام العرب وأمانيهم قابلة للتحقيق . غير أن الحقائق الأخرى ظلت مستترة ، ومنها حجم الخسائر البشرية وما يتبعها من عقابيل نفسية وأخلاقية واجتماعية ، وضياع عمر جيل كامل من الشباب ، وعقد من الزمان ناهيك عن الخسائر المادية) .

● وتطور الأحداث يوحي بأن أميركا كانت تسعى في الخفاء لتوريط العراق والكويت معاً في خلاف يؤدي إلى حرب من أجل أن تجد مسوغاً لمجيء جيوشها إلى المنطقة وتحطيم القدرة العراقية التي باتت تؤرق اسرائيل ، وقد تكلم صدام بصراحة وحذّر (من مغبة قيام بعض الدول- خاصة الكويت- بزيادة انتاجها النفطي الأمر الذي سيؤدي إلى تدهور أسعار النفط مما سينعكس بدوره تدهوراً في الاقتصاد العراقي ، وقد أشار إلى قيام شركة أميركية بسرقة النفط العراقي من شمال الكويت ولصالح حكومة الكويت وذلك من خلال الحفر المائل ، والغريب في الأمر أن الشركة الأميركية هي من قامت بإبلاغ العراق بهذا الأمر ، ومما زاد الأمر سوءاً قيام الكويت ببيع النفط لإيران بأسعار رمزية . ظن العراق أن مؤامرة اقتصادية دولية تحاك ضده) 192 . وإلاّ فما معنى قيام الشركة الأميركية التي تسرق النفط بنفسها بإبلاغ العراق ؟

● والفريق رعد يهمل ذكر اجتماع صدام بالسفيرة الأميركية كلاسبي ، وتصريحها بأن الخلاف الكويتي العراقي مسألة داخلية تخص البلدين لا شأن لاميركا فيها ، مما فهمه صدام بوضوح بأنه إذن له باحتلال الكويت ، ولم يلتفت إلى احتمال أن أميركا تريد توريطه . كذلك اجتماع السناتور " دَوْل " لأربع ساعات به في محادثات سرية انفرادية لا ندري ما دار فيها ،

وقتل صدام المترجم بينهما بعد الاجتماع مباشرة ليموت السر ، والمظنون أنه أغراه باحتلال الكويت ووعده بعدم تدخل أميركا ، ومات صدام ولم ينطق بالسر ، لأنه يفضح سذاجته .

● ونتيجة لذلك حرك صدام وحدات جيشه نحو حدود الكويت ، وكان القادة لا يتوقعون سوى أنها خطة ضغط وتهديد ، ويقول الفريق رعد : (كنت أضرب أخماساً بأسداس للخروج باستنتاج منطقي لهذه الحركة المفاجئة إلى منطقة محاذية للكويت ، وخلال تبادلي الأحاديث مع مقدم اللواء العقيد الركن شباط على مطر وبعض أمري الوحدات وكإجابة لاستفسارهم عما أتوقعه أشرت إلى أن التلويح بالقوة أو استعراضها هي وسيلة من وسائل السياسة وورقة ضغط تساعد في حل الأزمة السياسية والاقتصادية التي تعاظمت في الفترة الأخيرة مع الكويت ، وبدأت أشرح لهم موضوع الأزمة السياسية وبعض أساليب إدارتها وصولاً إلى ما يسمى بسياسة حافة الحرب التي يُلجأ إليها من أجل الوصول إلى حلول سلمية لتلك الأزمات)194 .

وفي نهاية نيسان عام 1990 حذّر الرئيس صدام حسين خلال تقليده مجموعة من الضباط أنواط الشجاعة من حرق نصف إسرائيل بالسلاح الكيماوي المزدوج إذا ما هدد العراق أو ضرب بأي سلاح ذري سواء أميركي أو إسرائيلي كضربة وقائية ، فقامت الدنيا ولم تقعد ، وتخلل ذلك أكثر من حادث استفزازي لاستدراج العراق في هذه الأزمة السياسية والاقتصادية لجر العراق لاتخاذ قرار خاطئ ، ومن تلك الاستفزازات قضية الجاسوس البريطاني بازوفت (الإيراني الأصل) ومساعدته البريطانية التي تعمل في مستشفى ابن البيطار حيث تحدّت رئيسة وزراء بريطانية السيدة تاتشر صدام حسين أن يأمر بإعدام هذا الجاسوس ، وبالطبع أمر بإعدامه على الفور لأنه شخصية يسهل استفزازها ، فأصبح العراق وأخباره القاسم المشترك الأعظم لكل الإذاعات الدولية ، وبات العراق وسط إعصار إعلامي مبرمج) 194 .

● ونجحت أميركا في دفع صدام نحو ارتكاب المجازفة واحتل الكويت ، فحشدت قواتها مع حلفائها لتحرير الكويت ظاهراً واستعمار المنطقة باطناً . (وفي الثاني والعشرين من كانون الأول/ديسمبر 1990 بلغت الحشود المعادية معدلات كبيرة تؤهّلها شنّ الحرب ، بحيث وصلت إلى 400 ألف مقاتل ، و4000 دبابة وعجلة قتال ، و600 هليكوبتر مسلحة وللنقل ، و2000 طائرة مقاتلة وإسناد ، و400 قطعة بحرية بما فيها سبع حاملات

طائرات مع احتمال واقعي لاشتراك القوة الجوية الإسرائيلية بالقتال) 235 .

● ويشير الفريق رعد إلى إن خطة صدام في الدفاع عن الكويت كانت مبنية على تصورات خاطئة ، وزادها تزلف القادة بعداً عن الصواب ، وأنه أنكر وحاول إصلاح الخلل في التصورين الاستراتيجي والتعبوي ، ولكن دون جدوى ، بل ناله تكذيب واتهام .

(إن المشكلة الأساسية في هذه الخطة تكمن بهيمنة تجربة الحرب مع إيران على حساباتها ، فهذه الخطة معدّة لمواجهة جيوش في أعلى المستويات التي عرفها تاريخ الحروب في بيئة حرب حديثة جداً ، وإن دورة العمليات الدفاعية ستكون عاجزة عن التنفيذ نتيجة للتفوّق الجوي الساحق للعدو ، مما سيقيّد حركتنا ، مقابل حرية مطلقة له بالمناورة . إن الإقتراب غير المباشر هو جزء أساسي من عقيدة الجيش الأميركي ، كما أن تفتيت منظومتنا الدفاعية له أسبقية استراتيجية في قواعد العمل المعتمدة لديهم ، وعليه فالخطة برمتها تحتاج إلى الكثير من المراجعة .

● وفقاً لطبائع السلوك العسكري العراقي ، اعتبرت هذه الملاحظات غير مقبولة ، وأخذت طابعاً سياسياً ، ونالت منها عبارات الاستهجان والسخرية ، ووقف ضابط أمن قوات الحرس الجمهوري (طارق) ليقول بالحرف الواحد " إنه كلام خطير يخالف توجيهات السيد الرئيس بصراحة ، ويهبط المعنويات ، لا بد من أنه العميل الأميركي الذي بيننا " ، بعد ذلك ، رفعت شكوى ضدي للرئيس صدام حسين تطالب إحالتي لمحكمة عسكرية ، وشكل على الفور مجلس تحقيق حربي لمعرفة ما قصدته ، وهل هو تشكيك بتوجيهات الرئيس ، وتقرر تجميد عملي لحين إنهاء التحقيق ، ولولا قصي ابن الرئيس صدام حسين الذي دافع عني أمام والده ، لكانت الإجراءات السيئة قد استمرت بحقي ظلماً . ثم عدت إلى عملي بحرية يشوبها الحذر .)235 .

و(عيّن الفريق أول (جنرال) حسين رشيد رئيساً لأركان الجيش بدلاً من (الجنرال) نزار الخزرجي في 13 أيلول/سبتمبر 1990 الذي أبدى تحفظات كثيرة على قبول الحرب مع أميركا) 244 .

● وبدأت الحرب وألقت الطائرات أكثر من مئة ألف طن من القنابل ، وأكثر من 400 صاروخ جوال بعيد المدى فوق العراق . أما قوات الميدان ، فقد نالتها مئات الآلاف من المقذوفات المسيرة والاعتيادية (قسم كبير منها مصنوع من اليورانيوم المنضب) ، ومقذوفات المدافع البرية ،

ومدافع البوارج البحرية ذات العيارات الكبيرة (420 ملم) . ولعبت الطائرة القديمة المحدثة
(A10) والهليكوبتر المسلحة الأباتشي دوراً رئيسياً في تدمير دروعنا ، ومنظومات وأسلحة دفاعنا الجوي ، ومدافعنا الثقيلة . وأدّت هذه السلسلة الطويلة من الهجمات الجوية والصاروخية إلى تفتيت صلابة مقاتلينا . وكان معدل خسائرنا الإجمالي بالقصف الجوي والصاروخي قد وصل إلى 25% للاحتياطات الرئيسية ، و 10% للوحدات العامة . أما الإصابات المعنوية فكانت أكثر من ذلك بالطبع ، مقابل إسقاط 134 طائرة ، سقط منها على القطعات المدافعة 86 طائرة مع عشرات من الصواريخ الجوّالة معظمها أسقطتها بطاريات الدفاع الجوي الموجّهة ، أما ما تبقى فقد أسقطته أسلحة الدفاع الجوي الحرة ، وثلاث طائرات أسقطت بالقتال الجوي . لقد تحمّل معظم جنودنا وضباطنا هول ذلك القصف بكل ثبات رغم التضحيات الجسيمة ، وخلال هذه المرحلة من القصف الجوي الذي أحال منطقة انفتاح قطعاتي إلى منطقة سوداء محفورة بمئات الصواريخ والمقذوفات المعادية وأكبرها تلك الناتجة عن قنابل القاصفات العملاقة (B52) ، ولم يكن أمامي عمل لرفع المعنويات غير تفقد جنودنا خلال القصف الجوي ، ومشاركتهم في فعالياتهم المختلفة ، والعمل المستمر لتغيير المواضع الرئيسية إلى المواضع البديلة ، وتحسين إرزاقهم ، حيث كنا ننقع الخبز بالماء لساعات كي يتسنّى لنا أكله . وفي أحد الأيام تذكّرت أنني شاهدت في أحد الأسطبلات الكويتية مئات الأكياس من الحنطة كعلف للخيول ، فأرسلت عدداً من الشاحنات لجلبها . وكانت أفضل بكثير من أشباه الحنطة التي كنا نألكها بسبب عمليات التقنين التي فرضها الحصار . وبنفس الفترة ، ألقت الطائرات المعادية على معظم القوات المدافعة الملايين من منشورات الحرب النفسية تدعو جنودنا إلى الهرب من ساحة الحرب ، بالإضافة إلى العبارات ذات الكلمات النابية المكتوبة على حاويات القنابر) 238 .

● وابتنت الخطة الأميركية على الالتفاف من الغرب وتطويق الجيش العراقي ، والغريب أن صحف الخليج نشرت هذه الخطة بشكل مفصل قبل ثلاثة أيام من الهجوم البري على أنها خيار محتمل ، ولكن صدام لم يلتفت . (كان هدف هذه المناورة استهداف الاحتياطات العراقية المركزية ، أي قاطع الفيلق الرابع العراقي بقيادة الفريق الركن إياد خليل زكي من وادي حفر الباطن ثم الاندفاع شمالاً لمهاجمة قوات الحرس الجمهوري التي كانت تدافع على شكل قوس كبير عن جنوب وجنوب غرب البصرة مع هجوم

بامتداد ساحل الخليج باتجاه مباشر نحو المدن الرئيسية نفذّه الفيلق العربي .

● إلا أن القيادة العراقية استشعرت بخطر عزل وتطويق القوات الرئيسية في ساحة العمليات الكويتية ، فأصدرت أمراً سريعاً وحاسماً وغير متوقع بالانسحاب الفوري نحو الأراضي العراقية ضمن قاطع البصرة ، والدفاع هناك . نفذ الانسحاب بشكل مرتبك جداً وعلى عجل (كيف ينسحب جيش كبير حرم بالاساس من مجرد التفكير بالانسحاب ، ومن سلسلة طويلة من استحضارات الانسحاب التي تحتاج القوات إليها كتهيئة مواضع الإعاقة ، ومواضع الدفاع بالعمق ، وفتح الطرق الخاصة للانسحاب) ، لأن مناورة كهذه تعدّ أعقد وأصعب العمليات الحربية التي تمارسها الجيوش في الميدان ، وعليه كان الانسحاب أشبه ما يكون بالهزيمة الكبرى . فتركت القطعات المقاتلة أثقالها ومواد تموين قتالها ، ولم يكن أمام هذه القطعات إلا ساعات ، فشكّلت هذه (أي القطعات) أهدافاً كبيرة سهلة المنال للقوة الجوية للتحالف- فأصبح الطريق المركزي (الجهراء-العبدلي) يدعى بطريق الموت- وقد طاردتها القوات المعادية ، ولكن بحذر ، وكانت هناك قوات عراقية أجبرت على القتال بمطار الكويت ، وبعض أجزاء من العاصمة ، لأنها لم تتمكّن من الانسحاب أو لم يصلها الأمر بذلك . إلا أن 70% من القوات المنسحبة من ساحة العمليات الكويتية نجت من الموت أو الأسر حين عبرت الحدود نحو العراق ، ولكن 50% من هؤلاء فقدوا إرادتهم على القتال نتيجة أسباب عديدة منها صدمة المعركة ، والإعياء ، ونسبة الإصابات العالية . إلا أن قوات الحرس الجمهوري كانت بقدرات قتالية ومعنوية جيدة ، فتصدّت للقوات المطاردة بقوة ، فدارت معارك شديدة يومي 26-27 شباط/فبراير . ولكنها (قوات الحرس الجمهوري) تكبّدت خسائر كبيرة جراء القصف الجوي ، وضربات طائرات مقاومة الدروع الأباتشي ذات التأثير الفعّال) 241 .

وهكذا وبهذا التبسيط العراقي للقضية : حصلت النكبة 06/30 وتكبد العراق مائتي الف اصابة بين قتيل و جريح ، وما يزيد عن 63 ألف اسير . 242

● و(يمكن إجمال عناصر ذلك المأزق بما يلي :

o ان القيادة السياسية (الاستراتيجية العليا) العراقية حددت اهدافاً كبيرة جداً فاقت قدرت القوات المسلحة العراقية على تحقيقها ، أي عدم مطابقة الامكانيات مع الاهداف .

o مركزية القائد السياسي امتدت الى آلية صنع القرار العسكري الاستراتيجي كونه قائداً عاما للقوات المسلحة ، بينما لم يكن يمتلك الثقافة العسكرية الكافية لهذا المستوى الرفيع . و غالبا ما أفصح أمام القادة

والمخططين عن مسلك العمل الذي يرتئيه للوصول إلى الهدف المراد ، مما صعب على هؤلاء البحث عن البدائل الأنسب لأسباب إنسانية محضة ، كالخوف من سطوة القائد السياسي أو سعيا لإرضائه ، و ما يتبع ذلك من فوائد شخصية محتملة . وكان القليلون منهم من يجازفون بحكم الضرورات الوطنية .

- ولقد كانت دورة السياسة و الحرب شبه متعذرة عراقياً لعدم وضوح المدى الحقيقي للدور السياسي في قرار الحرب و إدارتها .
- التحديد والتقليص المستمر لصلاحيات القيادة العسكرية نزولاً إلى صلاحيات القادة الميدانيين (الخوف من التآمر السياسي) .

o انهيار قيمة الردع للأسلحة العراقية ذات التدمير الشامل (استخدام الاسلحة الكيماوية و بوسيلة إيصال الصواريخ/الطائرات عندما أعلن الخصم أنه سيستخدم السلاح النووي ، إذا ما ثبت له استخدام السلاح الكيماوي من قبلنا و خاصة اسرائيل التي حيدت بصعوبة من قبل الإدارة الأميركية للحفاظ على سلامة التحالف الدولي .

o قصور عام في التثقيف العالي للمستويات المسؤولة عن التخطيط الاستراتيجي ، أدى الى قبول المجازفة بأدنى التحفظات ، وفهم خاطئ لعقل الخصم ، ومما زاد في ذلك افتقار القيادة العسكرية العليا إلى مراكز بحوث استراتيجية تغذيها بالكثير من المعلومات و الاستنتاجات الضرورية ومنها البدائل .

o كان السعي لتوظيف خبرتنا الكبيرة المحصلة من الحرب الطويلة مع ايران ضد عدو يختلف اختلافاً جوهرياً ، وضمن بيئة صراع ذات معايير تقنية عالية يكاد ان يكون عميقاً ، فلم يثمر إلا في نتائج محدودة .

o إن القرار السياسي العراقي حرم نفسه من الفسحة الضرورية للمناورة على المستوى الإستراتيجي ، وبذلك حرم الاستراتيجية العسكرية العراقية من البحث عن بدائل معقولة ، بل جعلها في الإتجاه الخاطئ المؤدي إلى الهاوية .

o إن الإتصال بالقائد العام شابته الكثير من الصعوبات والمعوقات المعنوية والمادية التي حالت دون إستيفاء العديد من المعضلات للمناقشة الضرورية ، مما أدى إلى إصدار قرارات ذات نهايات سائبة ، أدت بدورها إلى ثغرات ميدانية لصالح العدو . ناهيك عن بعض الملاحظات الشخصية للقائد العام حول بعض القضايا تمتاز بالكثير من القدسية غير المبررة وفقاً لطبائع سلوك المحيطين به يصعب على المخططين الفكاك منها .

o الفجوة الواسعة بالإمكانيات ما بين الطرف العراقي والطرف المقابل ، حرمت المخططين الإستراتجيين والميدانيين العراقيين من المعلومات الضرورية للتخطيط ، وعليه كان الإعتماد على الإفتراضات لإملاء ساحة المجهول الواسعة)244 .

o (إفتقار الجانب العراقي الى منظومة القادة والسيطرة الحديثة جعل من موضوع تعديل الخطط شبه متعذر .)

o إن أسوء مافي الأمر هو التقييم العام السياسي بعدم قبول الولايات المتحدة فرضية الحرب المباشر على ضوء تجربتها الفاشلة في فيتنام) وإن الحشد هو للضغط (مع اعتماد ملاحظات مخطوءة أو مقصودة لغرض

التوريط من قبل بعض الوفود الدولية غير الرسمية التي زارت العراق خلال تطور الأزمة بأن الحرب لن تقع والبديل هو الرضوخ الأمريكي لإغراءات النفط العراقية –الكويتية .) 246

❑ مظاهر الضعف العراقي أثناء الحصار وقبل الاحتلال الأمريكي

□ (الفترة الفاصلة مابين حربي 1991و2003 هي مدة الحصار الإقتصادي الطويل والقاسي الذي فرضته الولايات المتحدة بحكم هيمنتها على الأمم المتحدة بحق الشعب العراقي (لإضعاف نظامه السياسي) . لقد كان قدر هذا الشعب أن يحكم منذ عام 1958 ، بأقل قدر من الحكمة ، بسياسات ضيقة الأفق ، وخاصة في المرحلة الأخيرة ، وفق بيئة سياسية معقدة في تداخل هائل من المصالح الذاتية والإقليمية والدولية ، لعبت السياسات الدولية الإقليمية فيها الدور الأساسي ، في إستراتيجية ذكية بعيدة المدى لإضعاف العراق (بسلسلة طويلة من الأزمات ، والمعارك ، والحروب) ، وذلك للوصول إلى هدفها النهائي الذي قد يؤدي إلى تقسيمه ، مع مشروع طموح لتغيير الجغرافية السياسية لمنطقة الشرق الأوسط ، بما يخدم مشروع (الشرق الوسط الكبير) الذي وضحه القيادي الإسرائيلي المخضرم شمعون بيريز في كتابه الموسوم بالعنوان أعلاه . ومما يساعد على تفشي هذه السياسة الضارة هو تغلب العاطفة الدينية والعشائرية وهيمنة ثقافات مختلفة ومنها ما هو متخلف عصرياً على الوعي السياسي لمعظم الشعب العراقي ، وكان بعض هذا التخلف نتيجة لترسبات التاريخ المشترك الكبير مع شعوب الإقليم ، بالإضافة إلى تأثير الموقع الجيوستراتيجي للمنطقة .)249

- واستمرت القرارات الإرتجالية ...

ففي سنة 1994 كانت المفاجأة عظيمة عندما صدر الأمر لقوات الحرس الجمهوري بالتحشد في قاطع البصرة ، وعلى مقربة من الحدود الكويتية مرة أخرى . والمفاجأة الأكبر هي استثناء فرقتي من هذا الأمر ! لكن من يجرؤ منا على الإستفهام ؟ وقد خمنت أن سبب هذه العمليات هو استفزاز الأميركيين والدول الكبرى . فلشدة وطأة الحصار جاع الشعب ، وأضر السوء به بما لم يمرّ به من قبل في تاريخه الحديث . وحين تجرأت على الأستفسار عن عدم شمول فرقتي بهذه العملية ، أجبت بأن السيد الرئيس قال حرفياً : " فرقة المدينة وقائدها

احتياط لي! " .

● وما هي إلا أيام معدودات حتى قامت الدنيا على العراق ، وفرض عليه توقيت يعد بالساعات لإخلاء قوات الحرس الجمهوري مناطق التحشد والانسحاب إلى شمال خط العرض 33 . وتدخلت روسيا والصين (كانتا تعملان كوسيطين ما بين العراق وأمريكا خلال الأزمات) بقوة من أجل إضافة ساعات أخرى ، لعدم توفر قدرة ذاتية لرفع هذا العدد الكبير من القوات ، قبل توجيه سلسلة من الضربات الجوية والصاروخية الأمريكية والبريطانية ضدها . وهكذا خسرنا موقفاً استراتيجياً مركباً ، حيث لم يعد بإمكان الحرس الجمهوري العمل في المنطقة الجنوبية . وهكذا مثال على القرارات الإستراتيجية التي يتخذها الرئيس باستعجال ودون الاعتماد على المشورة المطلوب)254 .

□ والحقيقة ان جميع جوانب الحياة أصابها خلل .
● ففي (المجال الثقافي سعى العراق لتعميم فلسفة خاطئة ، من خلال تعظيم المعنويات على حساب الحقائق وخاصة في المجالين الثقافي والإعلامي . وبالرغم من صحة بعض الطروحات الموضوعية والمعقولة ، إلا إن هذه الفلسفة حرمت المثقفين والمبدعين والفنانين من تداول موضوعاتهم بالواقعية المطلوبة ، ودفعت بهم إلى مساحة واسعة من النفاق السياسي والاجتماعي ، مما غلّف الواقع العراقي بكل معاناته بقشور ذهبية مزيفة ، ورسخ ازدواجية الشخصية في المثقف والسياسي العراقي ، وحرمه وهو في طليعة مجتمعه من لعب دوره الأخلاقي ، وتوسّعت باطنية مخيفة وكأنها سرطان في مراحله الحرجة) 265 .
● وفي مجال التعامل السياسي الدولي ومع أمريكا بخاصة ، كان هناك خلل وقلة استيعاب لما يجري .
(كانت مدّة الولاية الطويلة للرئيس الديمقراطي الأمريكي بيل كلينتون رحمة من السماء للنظام العراقي للاستمرار بالحياة السياسية والعملية . بالوقت نفسه ، لقد ضيّع هذا النظام الفرصة الذهبية للخروج بأنصاف حلول مفيدة لحالة مماثلة لحالة القيادة الفلسطينية التي ظنّت خطأ كما ظن النظام العراقي خطأ بأن التساهل والمشاطرة الأمريكية هما دليل الضعف ، وخوار الهمة في التصدي للمشروع العراقي أو الفلسطيني . وبدأت وسائل الإعلام العراقي و الخطاب السياسي بوصف ذلك الرئيس بالمتذبذب الذي كان نعتاً صهيونياً لتقليل شأن الرئيس كلينتون لأنه لم يحقق مطالب الصهيونية السياسية إلا بالحدود الدنيا ... لقد كشف السياسي الأمريكي الصهيوني هنري كيسنجر بكتابه : هل تحتاج أمريكا إلى سياسة خارجية جديدة ؟ أن الرئيس كلينتون قد قدّم مشروعاً للصلح المشرّف مع صدام حسين ، وقد لامه على ذلك كثيراً) 265 .
● وفي مجال تكوين القواعد الشعبية الموالية : صار الاعتماد على الغوغاء ومرضى النفوس وكل ظالم نفعي وتنظيمهم في " منظمة فدائيي صدام " فتحطمت بذلك معنويات الشعب .
(وفدائيو صدام : هو تنظيم شبه عسكري يعتمد على المتطوعين وبقيادة ضباط من ذوي الخدمة الدائمة ، من فائض الجيش والحرس الجمهوري ... أساس فكرة هذا التنظيم رسالة من الفريق الركن المتقاعد هشام صباح الفخري من القادة الكبار في حربنا مع إيران معنونة إلى عدي صدام حسين نجل الرئيس يشرح له فيها مقترحه لإنشاء جهاز عسكري خاص لتأمين

حماية انتحارية لرئيس الدولة ذي طاعة عمياء على تنفيذ أصعب المهام وبدون تردد . ويكلف هذا التنظيم بالمهام بشكل مباشر من قبل الرئيس صدام حسين ... من غريب الصدف أن كلفت أنا وأحد الزملاء في دراسة مضمون هذه الفكرة بطلب من النجل الثاني للرئيس قصي . وكان خلاصة ما خرجنا به نبذ هذه الفكرة تجنباً لمشاكل التداخل ما بين مسؤوليات الأجهزة الأمنية العديدة الأخرى وهي كثيرة . ولأن خصوصيّة هذا التنظيم الذي تدعو الفكرة لإنشائه لها احتمالات سلبية كثيرة تعطي نتائج عكسية ...

بعد عامين من ذلك التاريخ أي عام 1995 ، أصبح هذا التنظيم معمولاً به تحت قيادة عدي صدام حسين ، وعلى شكل آمريات ووحدات في عموم العراق نمت تدريجياً من بغداد إلى المحافظات الأخرى ، ومن خلال مقر أعلى يدعى رئاسة أركان فدائيي صدام مع أمانة سر خاصة بها . وقد عيّن الفريق الركن قيس الأعظمي رئيساً لأركان هذا التنظيم ، وشغل المناصب القيادية ضباط دائمو الخدمة من فائض الحرس الجمهوري والجيش . أما العناصر المقاتلة فمن المتطوعين ومن مشارب مختلفة ، ففيهم بعثيون ومستقلون ، وفيهم نسبة من ذوي السمعة السيئة يصعب تحديدها بدقة ، وتميزت قيافتهم باللون الأسود (تشبهاً بذوي القمصان السود من النازيين)؛ لقد خضع أفراد هذا التنظيم لتدريبات قاسية ، ولكن لمدة محدودة ، وكان منهم صفوة قادرة على تنفيذ عمليات عنيفة أو ارهابية . وظلت مهام هذا التنظيم شبه العسكري غامضة ومتداخلة مع مهام الأجهزة الأمنية الأخرى ، من مطاردة المهرّبين داخل المدن وعلى الحدود الدولية ، وإلقاء القبض على بعض المعارضين السياسيين ، ومتابعة الهاربين من الخدمة العسكرية ، إلى إلقاء القبض على شبكات الدعارة وإعدام بعض عناصرها بأسلوب إرهابي مقزّز كقطع الرؤوس بالسيوف وتعليقها على الجدران ، وكذلك كان حال بعض الذين يصدر الحكم بإعدامهم بإشراف عدي لأسباب سياسية ، كالذين شاركوا في محاولة اغتياله وغير ذلك .) 273-272 .

وهذه كأنها صفحات من تاريخ الجبرتي حين يروي أخبار الفترة المظلمة قبل مائتي سنة ودمويات حكم المماليك ، وسياق الأحداث التي يسوقها الفريق رعد يُبدي مسحة عقل لدى قصي يفتقدها عدي مع غرق الاثنين في المساوئ .

● والخلاصة : انه بينما كانت امريكا تخطط خططها الاستراتيجية لاستعمار العراق :

كان الطرف الأخر صدام حسين قد وقع في فخ أوهام القوة التي بدت له بعد استعادة توازنه ، فيجلس على كرسي الحكم مطمئناً لقدرته . فجيشه من الناحية العددية لم يخسر سوى ربع مليون إصابة مختلفة . ولقد ظنّ أن بإمكانه تعويض خسائره من الطائرات والأسلحة الأخرى والدروع بإغراءات خزين البترول العراقي الذي لا ينضب قبل نهاية القرن الحادي والعشرين ، ولأن شعبه يقف خلفه مسانداً له بالمحبة أو نتيجة للخوف ، مع مؤازرة مئات الملايين من الأمة العربية والإسلامية ، فلقد أصبح رمزاً عالمياً لمجابهة الإمبريالية الأمريكية في أرجاء المعمورة ... لقد اعتقد أن حسن الحظ وقدره الإلهي لا زال عظيماً . لقد أكّد هذا الزعيم العربي أن النصر السياسي على أعدائه قد لا تحددّه نتائج المعارك العسكرية وإن خسرها ؟ وبدا (كمسيح مسلح) ليخلّص الناس من شرور الشيطان الأمريكي . وقد سوّغ هذا المفهوم من خلال سلسلة الخطابات واللقاءات السياسية, وركّز الخطاب السياسي العراقي على هذا الموضع, بل شمل النواحي الموضوعية في الحسابات العسكرية الإستراتيجية .) 262

❑ خطأ خطة القتال على شكل كتل كبيرة وقبول المعركة في بغداد

□ آمن الفريق رعد منذ وقت مبكر وبعد تحرير الكويت مباشرة بخطأ قتال أميركا على شكل كتل كبيرة, لتفوقها ، وان الأصوب هو توزع الجيش العراقي في كتل صغيرة ، ودرّب فرقته على ذلك منذ سنة 1995 .

(ونفذ المشروع التدريبي بنجاح كبير في منطقة النخيب غربي العراق بالقرب من الحدود السعودية على افتراض صدّ هجوم أمريكي محتمل . وكان جوهر تلك الدروس تجنّب العمل بكتل قتالية كبيرة ، لتجنب التأثير القاتل للتفوق الجوي المعادي ، بالإضافة إلى أهمية استخدام القوات الخاصة في شن سلسلة من الغارات القتالية بمجموعات صغيرة . مع جهد الإستطلاع الميداني الواسع كأهم جهد لجمع المعلومات في ظل التفوق الجوي والإلكتروني المعادي .) 55

● لذلك ، حين اقتربت الحرب سنة 2003 وارتكزت خطة القيادة العراقية على تقسيم العراق إلى أربعة قواطع عسكرية ، وقبول المعركة الرئيسة في بغداد ، والتصدي بكتل كبيرة على مستوى فيالق وفرق . سارع

الفريق رعد إلى نقد كل ذلك ورفضه ، وحاول إفهام قصي كمشرف على الحرس الجمهوري وجود خطأ في الخطة ، ولم يكن صدام بوضع نفسي يتيح الاعتراض عليه .

يقول : شرحت لقصي (وجهة نظري بإنه من الخطأ الجسيم أن نقبل القتال في بغداد ، ونحددها كهدف رئيسي ونهائي ضمن سلسلة أهداف لعدو قادر أن يحيلها إلى ركام محروق ، والصحيح ان يكون الدفاع بعيداً عنها وليس فيها ، وأنه ليس من الحكمة أن تكون بغداد مقراً للقيادة السياسية والمركزية ، بل يجب أن نجعل العراق كله أهدافاً متساوية ، بحيث لا يكون فيه مكان محدد للقيادة ، وأن نعتمد حرباً مشابهة لحرب العصابات ، كما هو حال تدريبنا في فيلقي طيلة السنوات الأخيرة . فما دام التفوق الجوي الساحق لصالح العدو ، فليس لنا القدرة على المناورة بالاحتياط أو القتال بكتل الدروع وغيرها ، كذلك إن ثقافة ضباطنا وجنودنا المحدودة لا تؤهلهم فهم المواقف القتالية الصعبة تحت رحمة القصف الجوي الرهيب ، فأي حركة من هذا القبيل تشعرهم بالأخطار المحدقة فتنهار معنوياتهم ، إضافة إلى أن مواطنينا لن يقبلوا القتال في مدنهم وبين بيوتهم لأسباب عديدة ، وسوف يساهمون في إقناع الجنود بترك مواقعهم خوفاً على عوائلهم ومنازلهم من التدمير ، وبأنه يجب أن نعتمد مبدأ المدينة المفتوحة للمدن الرئيسية .

لقد أصغى المشرف إليّ جيداً ، وفهم مقاصدي التي طرحتها ، وخاصة في جوهر بناء الخطط بالتحليل الدقيق للتهديدات المعادية ، وتحليل المسالك والمحاور التقريبية للعدو ، وأسلوب مواجهة كل احتمال حسب نسبة تحقيقه في الميدان ، ووعدني بإعادة المؤتمر مساء يوم السبت القادم ، وترك الموضوع له بالكامل .

لقد صدق بوعده ، واجتمعنا مساء السبت 2002/12/21 ، وكنت الوحيد بين الحضور الذي يعرف ما سيجري في هذا اللقاء . وبعد عرض دقيق للمشرف ، وضّح للحضور ضرورة إعادة النظر بالخطة السابقة ، واعتماد السياق الصحيح ، وركز على جوهر الدفاع عن بغداد وأن يكون ذلك بمسافات بعيدة عنها ، ووفق محاور الإقتراب الرئيسية والثانوية للعدو ، وذلك اقتصادا للجهد والإمكانيات وغير ذلك . كان رئيس الأركان والعزة بالنفس تأخذه يحاول إفراغ ما طرحه المشرف بعبارتين متكررتين كل حين " لكن توجيه السيد الرئيس القائد لا يتفق مع هذا " ، " هذا ما قصدناه في خطتنا " وبعد حوار قصير مع الحضور التفت المشرف نحوي قائلاً : " هل لديك شيء توضحه ؟ " فأجبته بأن لقاءنا هذا سيكون مباركاً عندما نعود من الخطأ إلى الصواب وأن مسؤوليتنا تجاه الوطن والشعب أكبر مما تأخذنا إليه العزة بالخطأ أو بالنفس ، راجياً من السيد رئيس الأركان أن لا يأخذ هذا الأمر كموضوع شخصي ، لأننا نكنّ له كل الإحترام والتقدير ، وأن العودة عن الخطأ فضيلة . ورجوت أن يتشكل فريق تخطيط من المؤهلين جيداً لوضع خطة الدفاع عن مركز العراق ، وفق السياقات الصحيحة .

وهكذا انفض هذا الإجتماع على أمل أن يكون هناك جدول عملي من التخطيط المشترك بحيث نشارك فيه نحن القادة المنفذون ، بعد أن رجوت من المشرف مطالبة القيادة السياسية (الرئيس) تزويده بوثيقة تسمى (توجيه الخطط) التي يحدد فيها الهدف السياسي بالدفاع عن مركز العراق كونه مخول بصلاحيات وزير دفاع ، وسيكون هذا التوجيه بمثابة الخطوة الأولى الضرورية لسياق طويل من أعمال التخطيط والدراسات الخاصة والتفصيلية المطلوبة لإنتاج عدد من الخيارات) 90 – 91

(لكن هذا مع الأسف لم يحصل ، إنما ازدادت حساسية فريق أول سيف الدين تجاهي ، وان المأمول منه غير ذلك ، نظراً لما يتمتع به هذا الرجل من ذكاء حاد ، وخبرة كبيرة ، وقابلية بدنية جيدة ، إلا أن نقطة ضعفه- وكلنا لنا نقاط ضعف- كانت الأنانية المفرطة ، والحساسية الشديدة ، وطموحه الذي لا حدود له حيث كان يأمل أن يكون وزيراً للدفاع قبل وقوع الحرب ...)91

لذلك اجتمع صدام بالقادة لا لمناقشة الخطة بل لأمرهم بتنفيذها ، وقال لهم : لو غلب الاتحاد السوفييتي أميركا لقيل : قوة عظمى غلبت مثلها ، ولكن الله ادخر هذا الشرف للعراق أن يكون هو الذي يهزم أميركا .

بمثل هذا التبسيط كان مستقبل العراق يتقرر .

● وخلال سبع دقائق عرضت على القادة خطة الدفاع عن بغداد ، وحين أراد الفريق رعد النقاش امتعض رئيس أركان الحرس الجمهوري الفريق أول سيف وقال : ان هذه الخطة مصادق عليها من قبل المقر الأعلى وعليكم الإستعداد لتنفيذها . 287

واجتمع قصي بهم أيضاً وطلب تنفيذها ، ولكن الفريق رعد ورغم امتعاض الفريق سيف اعترض عليها وقال : (الخطة ساذجة جداً وسطحية وغيرعملية على الإطلاق . والأمر الثاني ، أن سياق التخطيط لعمليات كبيرة يجب أن يأخذ سياقه الصحيح وفق مراحل عديدة تُتلافى فيها الأخطاء بسلسلة طويلة من النقاشات والدراسات . ورجوت المشرف أن يمنحنا المجال الكافي لإعداد خطة بديلة وفق السياسات الصحيحة ، بحيث يساهم فيها كل المعنيين دون التمسك بوجهات نظر تطرح مبكراً ...

وكنت آمل أن يوافقني قصي صدام حسين على هذا القدر ، ويترك المجال للمختصين بإعادة بناء هذه الخطة بشكل أكثر واقعية . إلا أنه وقف بجانبي ، ووقف الجميع من حولنا ، واستعجل الرأي برأي توفيقي أكثر مما هو واقعي ، وبسبب احترامي الشديد له ، ما تمنيت أن أحرجه لأي سبب كان ، لأن الموضوع أكبر من هذه الأمنيات ومن مشاعرنا وعندها أحسست بأن واضع الخطة هو رئيس الأركان ناسباً أفكارها للرئيس صدام حسين وإلى نجله قصي .)288

وكان من نتيجة ذلك أن قال له الفريق سيف في اليوم الثاني : (ان السيد المشرف قد أخبرني بأنه لم يفهم أي شيء مما طرحته أمس ، وهو يشك في قواك الذهنية ، أو من أنك تعاني علة ما .)288

فغضب الفريق رعد ، وذهب إلى قصي ، ونزع رتبته أمامه ، لكنه استرضاه وجامله .

● ومرة أخرى وأمام صدام (طرحت رأياً يدعو إلى السرعة بإجراء تغيير التفكير والسلوك القتالي قد يكون باتجاه (180) لما هو عليه الآن ، أي العمل بعقيدة واستراتيجية عسكرية تتلاءمان وفارق القوى المتعاظم لصالح العدو . وقد استعرضت للرئيس المرتكزات الأساسية التي ستستخدمها القوات الأميركية في الحرب وهي الاعتماد على التفوق التقني ، واستخدام الخريطة الرقمية لساحة الحرب ، وتحقيق السيادة الجوية ، والاستخدام المكثف للقوات الجوية ، واستثمار القدرات المعلوماتية الهائلة ، والاستخدام المكثف للأسلحة الذكية بالإضافة إلى اعتمادها الكبير على القوات الخاصة وعملاء المخابرات كما رأينا هذا في الحرب على

أفغانستان ، ناهيك عن قدراتها المعروفة في مجال الحرب النفسية ، مما يتطلب إلغاء العمل وفق نظام الكتل الكبيرة (لواء/فرقة) لأنها أهداف ملائمة جداً للتدمير ، والعمل وفق الاستخدام المتدرج والجزئي للقوة(فصيل سرية) ضمن قواطع عمل محددة لكل تشكيل قتالي لإدارة حرب العصابات بالقوات النظامية ، وأن وحدات الدروع الثقيلة ستكون عديمة الجدوى ، وكوني قائداً لفيلق مدرع ثقيل أؤكد حقيقة ذلك ، فضلا عن أنني اعتمدت منذ سنتين مضتا استراتيجية في التدريب على تكتيكات عملية بالوحدات القتالية الصغيرة ، فحققت نتائج طيبة في تقليل الخسائر المتوقعة للضربات الجوية للمقاتلات والهليكوبترات المسلحة ، إلا أن فيلقي سيكون ملزماً باتباع الاستراتيجية العامة لقواتنا البرية ، وعليه طرحت هذا المقترح . وقد تكون المدة القليلة القادمة الفرصة الأخيرة المتاحة لإعداد قواتنا بشكل يؤمّن منازلة العدو الأميركي ومن سيحالفه مستقبلاً لأطول مدة ممكنة ، مع قبول التنازل المؤقت عن الأرض وبعض الأماكن الحيوية .
استمع الرئيس بإمعان لما عرضته لمدة 45 دقيقة ، ثم طلب مناقشة هذا المقترح من قبل الحاضرين ومن قبل القيادة العليا للجيش (وزارة الدفاع ، رئاسة أركان الجيش) وكانت النتيجة الإبقاء على ما هو عليه من عقيدة واستراتيجية مع إعطائي حرية محدودة في استمرار التدريب لبعض المستويات ، وإلزامي بالإستراتيجية العامة المعتمدة للجيش العراقي .)305

- وحار قصي بين الآراء المتعاكسة ، فدخل في حوار مع رعد وسأله عن عدد الذين سيصمدون ؟ فكان تخمين الفريق رعد أنهم 50% من الضباط و 25% من الجنود . فسأله : إن تغيرت الإستراتيجية كم سنصمد ؟ قال : ستة أشهر إلى ثمانية . فسأله : ما الفرق والنهاية واحدة ؟ فأجاب : الفرق ان استمرار الحرب لمدة طويلة يجعلها من الناحية السياسية والمعنوية متعذرة على الجانب الأميركي ، وبالتأكيد إن تصاعد أرقام خسائرهم بالأرواح يؤثر على الرأي العام لديهم . 306

فازدادت حيرة قصي ، وبدأت الحرب وهو لا يدري ما يفعل .
(وكان رأيي أن كربلاء تمثل عنق الزجاجة ، ويفترض الدفاع فيها بقوة لا تقل عن فرقة ، لكن تحديدات المقر الأعلى كانت بعدم دفع أي قطعات غرب نهر الفرات ، وكربلاء تبعد عن حافة النهر الغربية (37 كم) . لقد دفعت جحفل اللواء 14 الآلي حرس جمهوري مع بعض الوحدات المساندة له على مسؤوليتي الخاصة . وقبل ليلتين عند لقائي برئيس أركان الحرس

الجمهوري ، الذي زار قاطع فرقة نبوخذ نصر حرس جمهوري كان يؤكد عليّ لسحب تلك القطعات غرب نهر الفرات ، بالوقت الذي لم أصارحه بحجم القوات في كربلاء ، فلم أذكر له سوى فوج واحد ، لأنني كنت أخشى كيده ، بحيث يقنع قصي صدام حسين بسحب تلك القطعات من كربلاء ، فينفتح المجال واسعاً للعدو للإندفاع إلى المسيب أو إلى اليوسفية عبر جسر القائد في جرف الصخر الاستراتيجي الذي يربط منطقة جرف الصخر باليوسفية ثم الدورة بغداد ، علاوة على الطريق الموازي للضفة الشرقية للفرات الذي يوصل إلى ناحية القصر-الرضوانية- المطار الدولي ،القصور الرئاسية .)326-327

● وفي ذروة هذا الإندفاع الأميركي نحو بغداد : كان هناك رأي يسيطر على القيادة العراقية بأن ما يحدث إنما هو مخادعة وان الهجوم الرئيسي سيكون من جبهة غربية ، وتم جمع القادة لتتلى عليهم رسالة من صدام حسين يبلغها لهم وزير الدفاع .

(وكان فحوى الرسالة بأن الرئيس يتصور أن مجريات الحرب خلال الأسبوعين الماضيين ما هي إلا مخادعة عسكرية استراتيجية أميركية ، وأن الجهد الرئيسي للأمريكيين سيكون في الأيام اللاحقة من اتجاه الأردن ثم شمال مدينة الرمادي ، نزولاً إلى شمال مدينة بغداد العاصمة . وعليه ينصّ توجيه الرئيس بسحب ما يمكن من القوات من جنوب بغداد إلى شمالها ، وأن ينظم الدفاع في بغداد ، ويستند على حقول ألغام عميقة يشترك فيها مجهود الدولة ... فرفعت يدي استئذاناً بالكلام ، فردّ عليّ وزير الدفاع أنه ينقل رسالة شفوية من الرئيس ، وهذه الرسالة تحمل أوامر ، وليس هناك مجال للمناقشة . فنظرت إلى نجل الرئيس ، وقلت له اسمحوا لي بالكلام ، فسمح لي ، فقلت دعونا نقف بجانب الخريطة ، فاستجابوا لذلك ، وشرحت الموقف العام كالآتي وبشكل مختصر :

o للعدو جهد رئيسي على محور الفرات ، والآن في أعلى درجات ضغطه لاحتلال مدينة كربلاء للاندفاع من الممر المحصور بين شمالها وجنوب بحيرة الرزازة وهو عنق الزجاجة الذي ينبغي علينا أن لا نسمح له بالخروج منه .

o إن العدو قد أدام زخم هجومه في هذا المحور لوصول الفرقة المدرعة الرابعة الأميركية قادمة من تركيا .

o إن نصائح رئيس الوزراء الإسرائيلي أريل شارون للرئيس الأميركي بوش والتي قرأتها قبل أكثر من شهر على موقع بالإنترنت بأن أوهن نقطة

في بغداد وهي أخطرها الزاوية الجنوبية الغربية منها المنطقة المحصورة ما بين الرضوانية واليوسفية ، والتي تؤدّي إلى المطار الدولي ، ثم إلى القصور الرئاسية . وأنه (أي شارون) مستعدّ لتهيئة القوات الكافية لتحقيق هذا الغرض . وهو يعرف مدى صعوبة اشتراك الجيش الإسرائيلي في الحرب على العراق .

- إن الجهد الثانوي للعدو على محور دجلة وهو يتعرّض فيه الآن لاحتلال الزاوية الجنوبية الشرقية منطقة جسر ديالى من بغداد لتطويقها من الجنوب الشرقي إلى الشمال الشرقي ، ويعتبر الطريق الجنوبي السريع طريق صدام الكبير التسهيل الهام للتعاون ما بين الجهدين ، وفيه يتمكّن العدو من العبور نحو القصر الجمهوري رقم (1) عبر الجسر المعلق) ثم احتلال المطار والرضوانية 329 .

وطلب رعد تقوية موضع كربلاء ، وأشار إلى استحالة خطة الألغام . لكن رئيس أركان الجيش قال : (رأيي من رأي وزير الدفاع) . وقال وزير الدفاع (أنا لا أقول أن كلام فريق رعد خطأ ، ولكني أوصي بالعمل وفق رأي السيد الرئيس) .

وقال الفريق سيف : (أنا مع الرأي الذي سمعناه نقلاً عن السيد الرئيس القائد ، ومتفق معه تماماً) . (وكانت الحيرة بادية على وجه نجل الرئيس)330 .

ثم قال الفريق سيف : (فريق ركن رعد ذهب بعيداً ، وإنه خالف أوامر الرئيس حين دفع بلواء من قواته ليقاتل في كربلاء ، فهو يتحمّل نتيجة هذه الخسائر ، وعليه يجب أن نسرع لتنفيذ أمر السيد الرئيس " . فقال لي نجل الرئيس وهو في وضع المتحير : " قم يا فريق رعد وبلّغ ما يأتي : تكون فرقة النداء حرس جمهوري وفرقة المشاة 16 بإمرة فيلق الله أكبر حرس جمهوري أي الفيلق الأول حرس جمهوري ، علاوة على فرقة بغداد التي خرجت من أمرتك قبل يومين ، وتخرج فرقة المشاة 34 من إمرة فيلقك بإمرة عضو القيادة غازي العبيدي " . ثم تدخّل رئيس أركان الحرس الجمهوري قائلاً له : " يجب سحب اللواء 14 من كربلاء إلى الضفة الشرقية لنهر الفرات " . فوافق نجل الرئيس ... ثم أعدْت رجائي له أكثر من مرة في غلق ممر شمال كربلاء ، دون جدوى ، ثم أصررت على بقاء اللواء 14 في كربلاء ، ولكن إصراري لم ينفع إلا في إبقاء جحفل معركة في قصبة المسيب غرب نهر الفرات ، فوافق نجل الرئيس ، ولكن بعد برهة من محادثتي مع رئيس أركاني دقّ جرس الهاتف فرفعته ، فكان على الطرف الآخر لواء يدعى مظهر لا أعرفه ؟ ولا أدري من أين يخابرنا ؟ لقد أفاد أن القوات الأميركية اندفعت شمال كربلاء ، وأن أرتالها المدرعة تتحرّك من جرف الصخر باتجاه الجسر المؤدي إلى منطقة اليوسفية . فأبلغت الرسالة للحضور ، ولكن ليس هناك من يصدق! عندها طلبت من رئيس أركان الفيلق التأكد من سرية الاستطلاع العميق حول هذا الموقف ، والتأكيد على أمر نسف الجسر وإعلامي فوراً . ثم انصرف الحضور في جدل أشبه بالجدل البيزنطي حول طبيعة حقول الألغام التي يجب أن تنشأ حول بغداد . وكان وزير الدفاع ورئيس أركان الجيش في طرف ، ورئيس أركان الحرس الجمهوري في طرف آخر يريد تسفيه أراء خصومه . فلم أتمكّن من البقاء لحظة واحدة أخرى ، فقلت لنجل الرئيس : " سيدي إن مصير بغداد الكارثي سيتحقق خلال 48 ساعة) 331 .

(لقد كان للعبور السريع للقوات الأميركية للجسر الاستراتيجي الذي يسمى جسر القائد والذي يربط غرب الفرات بشرقه : نتائج مصغرة وشبيهة لعبور القوات الأميركية لجسر ريماغن فوق نهر الراين غربي ألمانيا عام 1944 ، الذي أدى وقتها لاحتلال عاصمة الرايخ الثالث ، وقد لعب عدم قيام آمر حرس التخريب بتنفيذ أمري الصادر له شفوياً وتحريرياً بنسف

الجسر متى شعر باقتراب العدو منه دوراً في هذا العبور السريع) 341 .
وفي السادس من نيسان/ أبريل فشل الهجوم المقابل على منطقة المطار الذي شنّته عناصر مختلفة من الحرس الجمهوري الخاص بإمرة العميد الركن برزان عبد الغفور الناصري ابن عم الرئيس ، ومن فدائيي صدام ، ومن بعض الأجهزة الأمنية ، والحماية الخاصة ، وبعض الفدائيين ، وبعض عناصر الحرس الجمهوري ، وبإسناد مدفعية الحرس الجمهوري نتيجة استخدام القوات الأميركية كثافة نارية هائلة فيها الكثير من الأعتدة الحارقة . وكان قد سبق ذلك دخول الأميركيين الجزء الغربي من المطار ، ثم انسحابهم منه لشدة خسائرهم على ما يبدو ، فقاموا إثر ذلك بقصف شديد للهدف . ويُشكّ باستخدامهم أعتدة ذات تأثير فائق ، إن كثيراً مما قيل عن تفاصيل معركة المطار يشوبه الكثير من الضباب بل المبالغات والمغالطات أحياناً ، فمعظم القوات التي كلّفت بأمر مباشر من الرئيس صدام حسين ونجله قصي بعد الهجوم المقابل أعلاه قد تحددّت ما بين ساحة ابن فرناس ومدخل منطقة المطار) 342 .
و(تمكّنت القوات الأميركية في 2003/4/7 من التوغل في بغداد من جنوبها الشرقي ومن شرقها النهروان-بعقوبة- الرستمية ، ومن غربها مناطق الرضوانية-المطار الدولي- القصر الرئاسي الجزء الغربي منه ، ومن جنوبها الغربي الدورة-الطريق السريع-مدخل الكرادة ، من جهة الجسر ذي الطبقتين . وقد أمعن الطيران الأميركي الصائد للدروع تدميراً في دروع الحرس الجمهوري : فرقة حمورابي حرس جمهوري ، فرقة عدنان حرس جمهوري ، فرقة النداء حرس جمهوري ... وهبطت معنويات المدافعين إلى أدنى حدّ لها ، وتمّ نسف جسري نهر ديالى ، وجسر المثنى على نهر دجلة شمالي بغداد من قبل هندسة فرقة النداء وهندسة مقر الحرس الجمهوري . وانهار الجهاز الحزبي ، فبدأت المظاهر المسلحة تختفي تدريجياً من شوارع بغداد . وفي اجتماع للرئيس صدام حسين مع بعض عناصر المقر العام للجيش والحرس الجمهوري ظهر برباطة جأش ، وردّد أكثر من مرة أمام الحضور أنه يرى النصر قريباً جداً ؟!)343 .
(لقد شوهد الرئيس وهو في معنويات عالية في عدة أماكن من بغداد ، وكأنه يأمل في حلّ سياسي من خلال السفارة الروسية في بغداد . وفي ليلة 6-7/نيسان أعفى الرئيس صدام حسين رئيس أركان الحرس الجمهوري الفريق أول سيف الراوي من منصبه وقال له بالحرف الواحد : " لقد سلبت إرادة الحرس الجمهوري على القتال . لقد كنت فيك مخطئاً خطأً كثيراً ، ولم

تكن تقديراتك صحيحة لكل المواقف " . وأوكلت قيادة الحرس الجمهوري إلى وزير الدفاع ورئيس أركان الجيش اللذين طالما تآمر عليهما هذا الرجل ... إلا أن المومأ إليه لم يترك ميدان المعركة ، بالرغم من حالة الإحباط التي ظهر فيها ، إلا أنه أبدى شجاعة كبيرة ، وكأنه يريد الموت) 342 .

وماذا يفيد هذا الاستدراك المتأخر من كليهما ؟

(وفي 2003/4/8 أصدر علي حسين المجيد الذي وصل سالماً من البصرة بواسطة سيارة إسعاف أمراً لتجميع جميع ضباط المقر العام من رتبة فريق إلى ملازم في نادي الضباط بمنطقة الكسرة لتوزيع الأحزمة الناسفة عليهم لتدمير الدروع المعادية بأجسادهم ، ولا أعرف ما درجة تنفيذ هذا الأمر الغريب ؟ فقد كان كل من دوائر رئاسة أركان الجيش ، وكبار ضباط الجيش والقوات المسلحة يأملون بالمغادرة بأسلوب مشرف قدر الإمكان ، وكان رئيس أركان الجيش يرتدي الملابس المدنية لأسباب أمنية بالوقت الذي تلاشت الحمايات الخاصة للمناصب العليا . وفي هذا اليوم وقبله انهارت قواتنا بالشمال تماماً .)343 .

وبدأ الجنود بترك دبابتهم وأسلحتهم وبشكل تدريجي ، حتى وصلت أعداد المقاتلين يوم 2003/4/9 يوم سقوط بغداد إلى بضعة جنود وعشرات الضباط فقط في كل لواء قتال ، وأكد لي هذه المعلومات العميد الركن محمد سطم رئيس أركان فرقة النداء التي كانت تدافع عن القسم الشرقي من بغداد . 342 .

وبدأ عصر الشعوبية والانتقام الإيراني تحت مظلة الاستعمار الاميركي .

● قصة لا تصدق ، وهي أغرب من الخيال وغير العراقي بخاصة لا يتصور أن تكون الأمور بهذه الفوضوية والطرق الارتجالية ، ولكن العراقي فقط هو الذي شاهدها واكتوى بالنار ويوقن بأن هذه الرواية لمأساة القيادة العراقية صحيحة جداً وأن الفريق الركن رعد الحمداني كان دقيقاً في سردها .

إنما السؤال : هل من متعظ ؟ أم الإنسان ينسى ؟؟؟

❑ أقيسة واستنباطات تعصم مسيرة المجاهدين والدعاة

□ والله هو العاصم ، ولكن العاقل يحلل ويستخرج دروساً من التجارب العامة ، والمجاهد أو الداعية المسلم قد يتعرضان لغفلة ويستبد بهما

غرور ، كشأن جميع البشر ، ولذلك نستحسن الموعظة الصريحة التي تتجاوز المداراة والإيماء ، مع أن القضية أبعد من مجرد ملاحظات طارئة وتستدعي تربية طويلة منهجية شاملة تلقنهم آداب الشرع وإشارات المعرفة العامة ودروس التجربة العالمية في مختلف المجالات ، ولا شك أن الرصيد الدعوي في هذه التربية أصبح عظيماً وناضجاً بسبب تقادم عهد الدعوة ، وانتشارها في كل العالم ، بحيث وجدت التجربة المحلية في كل بلد طريقاً لها لكي تكون عامة عالمية المدى أيضاً ، ولذلك صار من صفة الجهاد الذي يروم النجاح أن يمر من قناة الدعوة الإسلامية ، لتضيف له مسحة العقلانية والتخطيط والتقوى والاجتهاد بمقدار ما تكون الاستطاعة ، وأحسن ذلك أن تكون الدعوة هي التي تجاهد ، فإن في ذلك أجمل الأداء ، ويكون الأداء القيادي أوفر انسجاماً مع النظر الاستراتيجي ، ولينال الاسناد العريض من الدعاة في العالم ، فإن لم يستطع المجاهد أن يذوب في الكيان الدعوي فليكن التحالف وإبطان حسن الظن والمبالغة في التعاون وإبداء القول العفيف ، فإن لم يستطع فليس أقل من التشاور واستعارة المناهج التربوية الدعوية ، وذلك أضعف الإيمان الذي ليس بعده إلاّ ارتفاع البركة والعياذ بالله ، والمغرور ، والمستغني ، والتكفيري ، والإتهامي ، وصريع الظن السيء : لأنفسهم يظلمون .

■ وسننحدر مع تيار الملاحظات التي لاحظها الفريق رعد لنقيس ونعقّب ونرى احتمالات تكررها في المحيطين الدعوي والجهادي ، ومعنى ذلك أننا سوف لا نوردها في ترتيب موضوعي ، بل حسب سياق ورودها في سلسلة الأحداث وطريقة العرض التي حصلت منا حين استللناها .

فمن أول هذه الدروس التي ستبلغ أكثر من ستين قاعدة وموعظة :

■ وجوب إحكام النهايات في فروع الخطة الدعوية وعدم تركها سائبة تثير الجدل والتفسيرات المتضاربة لدى الدعاة ، بل الوضوح أصل ، ولجان التخطيط مدعوة لوضع إفتاء تخطيطي متكامل في كل الفروع ، والدخول في التفصيل ، وإنما توضع الخطط الاستراتيجية لا للاكتفاء بها وباشاراتها العامة بحيث يكون الاستغناء عن الخطط المرحلية والتعبويات ، وإنما لتكون الاستراتيجية مرجعاً وإطاراً عاماً للتفاصيل ، وهذه قضية كثيراً ما تسبب فهماً خاطئاً فيظن البعض أن التخطيط الاستراتيجي يغني عن التفصيلي .

■ نقد المركزية لا يعني جواز تجزئة القطر إلى مناطق مستقلة ، بل لا بد من حركة الدعوة في كل القطر ككتلة واحدة لها مركز قيادي واحد ،

ولكن يكون إشراك الأطراف في التخطيط والقرار .

■ آلية العمل الجهادي هي غير آلية العمل السياسي ، ولكن يجب إحلال تنسيق بينهما ، والتغاير لا يعني الاستقلال ، بل الموقف الجهادي يتبع الموقف السياسي .

■ تعددت أنواع جيوش صدام ، فلم تتحرك بتناسق ، والعمل الجهادي أو الدعوي يجب أن ينطلق من منظمة واحدة وتحت قيادة مركزية واحدة ، وتنوع طبائع المهمات لا يسوّغ تعدّد المنظمات ، وحتى عندما يطلق اسم منظمة على مجموعةٍ تنفذ مهمة فإن ذلك لا يعني هدر مركزية الارتباط .

■ صدام كان يخاف الجيش فجعل للمؤسسة الأمنية سلطة عليه ، وذلك في الجهاد والدعوة منكر لا نعرفه ، بل نحن نثق بالدعاة والمجاهدين ، وهم يأتون أعمالهم عبادة وعن رضا ، ويعرضون أنفسهم للموت طواعية ابتغاء ما عند الله ، لذلك نؤسس أعمالنا على عامل الثقة المطلقة ، ونوقن أن الذي يخادع بعد ذلك سيفضحه الله .

■ والقيادي عندنا يتمتع بصلاحية وسلطة لاتخاذ قرار في حدود مسؤوليته ، ولا يجوز تعطيل القيادي بحيث نسلبه حق القرار .

■ عدونا متفوق ، ولذلك نحبذ العمل بطريقة المجموعات الصغيرة لا التكدس في كتلة كبيرة .

■ على الداعية المدار ، ومن المجاهد الفرد يكون الإنجاز ، والآلة تابعة .

■ الأحوال الخاصة تقتضي مرونة وتخويل منفذيها صلاحية القرار ، لوجوب سرعة القرار أحياناً .

■ الجمع المحلي للمعلومات هو الأساس ، ولا تنتظرها من فوق .

■ التأييد الشعبي والإقليمي والعالمي لك قد لا يجبر العدو على تغيير موقفه ، ولذلك افترض أسوأ الأحوال واعتمد على جهدك الذاتي في الساحة وليس على احتمال أن يلين العدو لتلك الضغوط .

■ شخصية القائد مهمة ، وعزيمة التابع من عزيمته .

■ نسعى لصناعة إعلام دعوي وجهادي يقلل سطوة الإعلام المعادي والتعتيم والاشاعات .

■ ننكر الولاء الشخصي للقائد ، ونربي أصحابنا على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بشروطهما الشرعية التي منها الرفق والأدب واحترام أهل الفضل .

■ نقبل الحوار والنقاش ، ونربي أنفسنا على ذلك .

■ ندرب أنفسنا على النظر الاستراتيجي ، ونقرأ الكتب المؤلفة فيه ،

ونؤلف مثلها ، ونستوعب تجارب الأمم والدول والأحزاب والحروب ما استطعنا ، ونوظف خبرتنا .

■ نربي أنفسنا على العزة ونبذ المتملق والمداهن وصاحب الطاعة العمياء .

■ المبالغة في ظن ضعف العدو عيب .

■ التقليد ضعف في الشخصية ، ونربي أنفسنا على الاجتهاد وتكوين رأي مستقل .

■ من الأمانة تقويم مجموعتك بدقة بلا مبالغة ولا تغطية لعيب لأن القرارات تتأثر بها .

■ افحص نفسك فلعلك صرت مركزياً وتلغي رأي أتباعك .

■ للاستراتيجية روح يعلمها القيادي المبدع ، وليست هي التطبيق الحرفي لما في الكتب بجمود .

■ الشخصيات القيادية مستقلة ، ولكنها تنجح إذا اجتمعت في منظومة .

■ لدى غير القياديين من الخبراء ما نحتاجه ، لذلك نستشيرهم ولا نهملهم .

■ مراكز البحوث ضرورية لتراكم الخبرات والدراسات وتمكين غير القياديين من المشاركة في التمهيد لصناعة القرارات .

■ احرص على رضا الله لا رضا الناس أو القائد ، ولا تتكلف السباق مع غيرك لاحتكار فخر النصر ، واحذر من ادعاء ما لم تفعله أو المبالغة في وصف إنجازك .

■ لا تضع وزر الفشل على رقاب إخوانك إذا بذلوا ما في وسعهم ، والأيام دول ، وقد يكون لهم عذر ، وعقوبة البريء تمحق البركة .

■ لا تحرج إخوانك بطلب فعل معجزة أو طلب إنجاز عمل في أقل من وقته اللازم عرفاً ، ولا تتهم المتأني بالجبن ، فرُبّ ريثٍ أمضى من عجلة .

■ يجب التمييز بين حالتي الدفاع أو التعرض ، فلكل منهما متطلبات ، ولا تخلط أوراقك ، بل أعد مراراً دراسة موقفك وحالك ، وأعد التوزيع .

■ عمليات الإحاطة والالتفاف والتطويق صحيحة في العملين العسكري والسياسي معاً ، وتؤدي إلى تقليل الخسائر ، واستثمار الثغرات فن ، والمناورة مبدأ الأذكياء .

■ إذا اختار العدو المباغتة فمن الطبيعي أن يشهد صفك صدمة ، فلا تتهم أحداً ، واتئد ، وليكن امتصاص الصدمة ، فقد يكون بعدها استعادة التماسك .

■ ميز العمل التعرضي لخصمك ، فقد يكون تضليلياً ، والمراد شيء آخر ، لكن قس الحالة وادرسها بواقعية ، وبدون إفراط ولا تفريط ، فإن الوسوسة لا تلغي الحقيقة .
■ الشخص المهم ، والمكان المهم ، والمعنى المهم : كلها ندافع عنها ولا نهمل أي احتمال .
■ النصر يغطي على السلبيات ، فانتبه ان انتصرت وادرس ما حصل منك وانقد سلبياتك وعالجها ، فإن النصر قد يتنزل رحمة من الله بعباده على الرغم من أخطائهم .
■ الازدحام سلب ، والترتيب والتتابع وسلوك عدة طرق احتياط لائق .
■ حساب الخرائط وفقه التخطيط يختلف عن حسابات الواقع المتجدد .
■ سوء التقدير يجعل الساعات أياماً .
■ الآلة الاستراتيجية لا تستخدم محلياً ، وتُحمى ، وتخصص للعمق .
■ إدامة الزخم يوفر جهد المستقبل .
■ اضغط في اليمين ، لينفرج ما جثم في اليسار ، وأتقن عملك في الشرق تنحل عقدة الغرب .
■ أتح للمنهزم أن يواصل انهزامه فإن رؤية أصحابه لارتباكه تجعلهم يقتدون به ، وسيكون بوقاً إعلامياً تخذيلياً .
■ القضم المتواصل أسلوب ناجح .
■ الجيل الفريد ذخيرة فلا تسمح لأشواقه أن تقذف به إلى الخطر .
■ اصبر لأقدار ربانية تمتحنك وتضيف شدة إلى شدتك .
■ الأهداف الكبيرة تستلزم مشروعاً ضخماً مع كظم الغيظ ، وجدولا زمنيا مديدا .
■ غرور المنافس فرصة لعقلانيتك .
■ الاستراتيجية الصائبة تحسم الأمور قبل أن تحسمها الساحات .
■ الجريح لا يتطلع لهدف ضخم قبل علاج جروحه و نضوج ظرف ملائم .

■ التأثير الناجح قد لا نراه شاخصاً على الأرض ، ولكن نراه في صورة انكفاء وتبدّل قناعات وتغيّر عقليات ، وتوبة إجبارية بعد استكبار .
■ الشخصية القيادية أرسخ من أن يستفزها مستفز يتحدى .
■ لا ترهق نفسك بأهداف أكبر مما تستطع .
■ القائد لا يكون أول من يفصح عن النظر الاستراتيجي ، بل يدع خبراء الاستراتيجية يفصحون عن آرائهم قبله ، كي تتعدد البدائل ، وأما إن بادر قبلهم فقد يقلدونه ، لأسباب كثيرة .
■ المستويات العليا يجب أن تثقف بثقافة استراتيجية .
■ المهالك تبدأ من فهم خاطئ لعقل الخصم .
■ خبرتك تجاه خصم قد لا تنفع تجاه خصم ثان ، بل انظر الفروق بينهما وفرق الظرف .
■ المناورة السياسية تغني عن مناورات غيرها .
■ لا قدسية لقائد ، والبديل عندنا : الاحترام والطاعة الواعية .
■ ساحة المجهول واسعة ، نملؤها بالمعلومات والاحصاءات لا بالتخمينات والافتراضات .
■ لا قدسية لخطة ، بل يمكن تعديلها ، فاتخذ قناةً لإجراء التعديل عند الضرورة وطروء المستجدات .
■ افحص الرأي الذي يشير به عليك غريب ، فقد يكون للتوريط وهو رسولُ عدو .
■ التداخل هائل بين المصالح المتقاطعة لفرقاء الساحة ، فكن ماهراً في سلّ نفسك وتمييز مصلحتك الذاتية ، وإياك أن تكون جسراً لعبور غيرك . فيضحك عليك بعد العبور ويتركك وحيداً مرهقاً .
■ الأدب والفن والمعارف عموماً توظف لتمجيد المعاني لا لتمجيد الأشخاص .
■ نعتمد الفرسان والأشراف ، ولا نقبل النكرات والمنافقين حتى لو أطاعونا ، وقد تختلط نجابة الشريف ببعض الشهوات ، فنقبل معونته طالما كان بريئاً من الشبهات .
■ الإثخان يردع عن استمرارٍ أو تكرارٍ حتى لو انسحبتَ بعده .
■ لا قيمة لاستدراكٍ متأخرٍ وصحوةٍ بعد زوال الشمس □□□